الجبال

مظاهر جغرافية متعلقة بالجبال

هناك بعض المظاهر الجغرافية تتصل بالجبال، أدرك أهل شبه الجزيرة العربية التفاوت بينها، وميّزوا كلاّ منها بأسماء وصفات خاصة به، وقد تكون بعض هذه الأسماء قديمة لدى أهل الجزيرة. ولبعض هذه المظاهر أسماء متعددة في مناطق مختلفة. ومن هذه المظاهر:

الثنايا: الرؤوس البارزة المستدقة فوق الجبال، وقد يُعْكَس الأمر فيسمون الثلم في الجبل ثنيّة؛ وقيل الثنية طريق العقبة، ومنه قولهم: فلان طلاع الثنايا إذا كان سامياً لمعالي الأمور؛ والثنية الطريق في الجبل كالنقب، وقيل هي العقبة، وقيل هي الجبل نفسه؛ وهي أيضاً ريع بين جبلين. وأغلب أهل الحجاز لا يسمونها ثنية إلا أن تكون بين حرتين، كثنية عسفان.

الجبجب (وجمعه جباجب): أضلع خارجها جبلي وداخلها عش طيني. ومن ذلك الجبجبة تقع إلى الشرق من عقيق غامد، وفي الطائف متنزهات على طريق الهدا تسمى جباجب جمع جبجبة.

الجبل: هيكل صخري مرتفع عال، وتسميه العرب اليوم الضلع، فيقولون جبل عرفات وضلع كرا، أي أن الاسمين مترادفان.

الجناب: سفح الجبل المرتفع. وجناب الوادي سفحه المرتفع عن بطنه. ويقال في بعض قرى السراة للمدرجات الزراعية الواقعة في سفوح الجبال «جنبا» ومفردها جناب.

الجُوبة (جمعها الجُوبات، الجُوب): وهي الحفرة الواسعة المستديرة مثل الحُفرة، والجُوبة أيضاً الفرجة في الجبال. ولهذا وصفت الدَّارة أنها جوبة تحفها الجبال.

الحبيل: الحبيل والذاري كلاهما يطلق في جازان وما حولها على ظهر الجبل

المسنم المستطيل مثل حبيل المالكي، بقعة على تلك الضفة شمال شرق مركز العارضة بأربعة أكيال. ومثله حبيل حسنة، بقعة في جبل حماد ببني الغازي، وحبيل آل حرادة، بقعة في جبل آل عبدل من فيفاء (العقيلي ١٣٩٩ : ١٤٤).

الحِشَّة: جبل غير مرتفع، سهل المرتقى، وتارة جبيلات متلاصقة وقد تكون واسعة يتخللها طرق ومسالك، وتسمى أيضاً السمرا مثل سمرا حلبان على طريق الرياض-الطائف السريع وهي مجموعة حشاش واسعة، والسمارة جنوب غرب تثليث. وقد تطلق الحشة على الحزون المتداخلة مثل حِشَّة رثمة في غربي عرض القويعية. وإذا كانت الحشة معقدة وكبيرة، خفيفة المسالك قالوا لها حشة متداخلة (ابن جنيدل ١٣٩٩، ج١ : ٢٣). والحشة عادة سوداء اللون.

والمدرع حشة سوداء كبيرة تقع في ضفة وادي جهام، وبالقرب منها غدير مشهور يسمى غدير المدرع تقع غرب الدوادمي بمسافة سبعين كيلاً (ابن جنيدل ١٣٩٨، ج٣ : ١٦١).

الحَيْد: هو الجبل وأصله طرف الجبل فأطلق على الجبل كله، أو الصخرة الكبيرة فيما تعارف عليه عامة أهل نجد، مثل حيد الردامي، والردامي سناف أشقر له متن بارز، يقع في أعلى وادي الأرطاوي شمال بلدة نفي، وبعضهم يقول الردامي دون إضافة حيد إليه. وقال منيّع القعود:

غطى حيد الردامي من عجاج الخيل عكنان
واهل جوره وضاخ ارجف بهم قاع الوطا كله

ولكن يلاحظ أن كلمة حيد كثيراً ما يطلق على الحجر بصفة عامة مهما كان حجمه عند البادية. ويطلق في بعض سراة الجنوب على الحجر الصلد. فيقال «اضرب راسك في حيد» في حالة التحدي.

الدف: أرض سهلة مرتفعة بلبط الجبل، كدف جمدان بخليص، ودفة العرق ظهره.

الرجد: عند البادية هو الحجارة المتراكمة على بعضها سواء كان ذلك طبيعياً أو بفعل فاعل.

الرجم: هو الحجارة الموضوعة بعضها فوق بعض سواءً كانت في سهل أو على مرتفع من الأرض من جبلٍ أو نحوه. وهو على أشكال وأنواع، فمنه رجم طبيعي من أصل تكوين الجبل مثل رجم مغيرا وهو يطل على وادي الضحوى إلى الجنوب الشرقي من الدوادمي على بعد ٧٠ كم. ومنه ما هو من صنع الإنسان يبنى على مرتفع من الجبل مثل الرجمين اللذين على قمة جبل

الجذيبة

ثَهْلان المطلين على بلدة الشَّعْرَاء؛ وهما رجمان متجاوران، تراهما من الأرض صغيرين لارتفاع مكانهما، وإذا صعدت إليهما وجدت بنايتين كبيرتين من الحجارة المرصوصة ولهما سنون طويلة منذ بنيا.

وللرجم تسميات منها: الجديرة (الزريبه) وهو بناء دائري مجوف، وأكثر ما يستعمل هذا لمراقبة الصيد والتخفي له حتى يقرب من القانص، أو لحماية ما حوله من مساكن للبادية ومراقبة الغزو.

وثانيهما الجذيبة وهي بناء من الحجر بطول الإنسان أو أطول يبنى على الجبل الصغير (الرجم)، وهو علامة على شيءٍ حوله.

وسمي الجذيبة من الجذب أي جذب النظر ولفته فقد يكون إلى جانبه مورد ماء، وفي المثل الدارج «رِجْمٍ على غَيْرْقا» يضرب مثلاً لبعض المَظاهر الخادعة، أو مغارة أو نحو ذلك. ومن الأبنية التي تبنى فوق الأمكنة المرتفعة في القرى والبلدان بناء يكاد يكون دائرياً في الغالب أو مربعاً، ويبنى من الحجارة أو الطين، وله سلم وسطح وفتحات للنظر منها؛ وهو لحماية البلد من مفاجأة الأعداء لها، ولمراقبة ماشية البلد في المرعى. وتسمى هذه الأبنية بالمرقب أو المرقاب. وقد تكون مبنية في سهل إذا لم يكن في البلد جبل يمكن البناء عليه.

والرجم مكان مناسب لتفرُّد الشعراء الشعبيين، يرتقون إليه في أعالي الجبال، لغرض الاستقلال، واستلهام القصيد، ويسنِّدون عليه، أي يخاطبونه في أشعارهم، وكأنه كائن حي يسمع ما يقولون. ومن أمثلة تلك الأشعار قصيدة مشهورة تتغنى بلون السامري منها:

يارجـم يااللـي بالخـلا نايـفٍ عالي
ما شـفت مـا عَيَّنـت مرُّوك طَـرقيِّه
ما شفـت ما عَيَّنـت الاضعان حوَّالِ
ما شـفت مـعهـم جادلٍ فيـه ماريَّـه
ماريِّـته وانْ حـط بالـساق خـلخـالِ
ومـخـضّـبٍ زميِّـمه لـلـهـواويِّـه

ومثلها مطلع قصيدة للشاعر محمد الأحمد السديري يتخير فيه رجماً عالياً بعيـداً عن الناس ليخـلو بنفسـه يتذكر ويتأمل:

يـقول مـن عدّى عـلى راس عـالي
رجـمٍ طويـلٍ يـدهلـه كل قـرنـاس
فـي راس مرجـومٍ عـسيـر المـنالـي
تلـعب به الأريـاح مع كـل نسنـاس
في مـهمـهٍ قفـرٍ من الـناس خـالي
يشتاق له من حس بـالقلب هوجاس
قـعـدت في راسـه وحـيـدٍ لحـالي
براسٍ طـويل مـلابقـه تقـل حراس
متـذكّرٍ فـي مرقـبي وش جـرى لي
وصفّـقت بالكـفين ياس عـلى ياس
أخـذت اعـدّ ايـامـهـا والـلـيالـي
دنيـا تقـلّب مـا عرفـنا لـها قـياس

الرَّدِيْفَة: الجبل يقوم خلفه جبل يسمى ما بينهـما رديفة وجمعها ردائف. وقـد تطلـق البادية اسم الـرديفة على الموقـع القريب من مكان مشهور كروضة أو جو فهي بذلك تشبه الراكب الثاني على الدابة الذي يسمى رديف والرادفة الصخرة التي تكون في أعلى قمة الجبل وكذلك التي تكـون فوق صخـرة أخرى لا يعـلوها شيء. وفي اللسان: رَدف الرجل وأردفه: ركب خلفه وارتدفه خَلفه على الدابة.

الركح: بـطن نتوء الجـبل الذي لا يمكن الوصول إليه ولا يصله الماء ولذلك تعشش فيه بعض الطيور.

الريش: الحزن يركب حزناً آخر فينقاد فوقه وقد يسمى طراقاً.

الريع: وهـو كل متسـع في الجبل يقسمه ويمضيه يرتفع السائر فيه إلى أعلى الريع ثم يهبط إلى الجهة الأخرى، جانباه مرتفعان، ومن أمثلته ريع المنقض وهو منطقة جبـلية بين وادي سقامة، الواقع في الجنوب الشرقي منها، ووادي يحر، الواقع في الشمال الـغربي، وتفصلهما عن بـعضهـا. وهي بين بـلدتي قـلوة والمخواة. وريع الـوداف أرض منبسطة بين بلـدتي شبرقة والـقوارير في سـراة زهـران. وتشـمـل تحت هـذا الاسـم الحصـحص وشعـب العرعـر والحنواء والبراقة. وحجارة هذه الأرض بيضاء. وريع الشُّغار عقبة صغيرة تفصل بين وادي الشعراء ووادي سَمَعة وتصل بينهما. وقد فتح فيها طريق للسيارات يصل بين قلوة والحـجرة (الـزهرانـي ١٤٠١: ١١٦).

جانب من ريع السّلف الذي يخترق جبل أجا

والرهوة طريق بين جبلين مثل الريع إلا أنها صعبة وإذا كانت تختصر طريقاً أطول سميت المخصارة.

الزَّرِيْبَة: جمعها زَرَائِب، وتصغيرها زُرَيِّبَة، وجمع التصغير زُرَيِّبَات، وهي نوعان كنوعي الرِّجم، وقد تكون مرادفة لكلمة رجم إلا أنها للرجوم الصغيرة الطبيعية وغير الطبيعية أكثر من غيرها. وقد تطلق الزريبة في بعض المناطق على البناء فهي لحماية الأغنام في الليل، أو في ظهر الجبل لمراقبة الأعداء أو مراقبة الصيد وهناك من يسميها جديرة.

السلع: السِّلع بالكسر في الجبل الشق كهيئة الصدع، ويفتح. والسلوع أربعة مواضع ثلاثة منها ببلاد بني باهلة، وهي سلع مرشوم، وسلع الكلدية، وسلع الستر، والرابع موضع ببلاد بني أسد بنجد.

وسلع الريان طريق ينفذ جبل ثهلان من الشرق إلى الغرب حافاً بماء الريان من الجنوب، وجبل الريان يكتنفه من الشمال جنوباً من بلدة الشعراء، وجنوباً منه يقع سلع آخر يدعى سلع مواجه وهو واقع في بلاد بني نمير، وبنو نمير يشاركون بني باهلة في بعض بلادهم. وفي سلع الريان يقول الشاعر عبدالله بن رمضان من أهالي الشعراء:

عسى شعيب الشبرميه يفايل
والسيل يبطي ناقعٍ في حوايله
والسلع والريان والضلع كله
تصافق تلاعه كالبحور متعايله
(ابن جنيدل ١٣٩٩، ج٢: ٦٩٨-٦٩٩).

السَّلْع (السُّلُوع، الأَسْلاَع): هو الخط الفاصل بين تصريفين مائيين، ولم يُذكر هذا المعنى في معاجم اللغة، بل تفرد ياقوت بذكره، فقد جاء في معجم البلدان «يقول أبو زياد: الأسْلاع طرق في الجبال يسمى الواحد سلعا، وهو أن يصعد الإنسان في الشِّعب، وهو بين الجبلين، حتى يبلغ أعلى الوادي، ثم يمضي فيُسند في الجبل حتى يطلع فيشرف على واد آخر، يفصل بينهما هذا المسند الذي سند فيه، ثم ينحدر حينئذ في الوادي الآخر حتى يخرج من الجبل منحدراً في فضاء من الأرض، فذاك الرأس الذي أشرف من الواديين السلع، ولا يعلوه إلا راجل». وللسلع في شبه الجزيرة اليوم أكثر من مصطلح محلي، فهو الوَسَق عند الجُهَنيين في شمال الحجاز، ويقصد به أعلى الجبل، وتطلق عليه قبائل غامد وزهران اسم المَهَدُّ، لأن السيل يُهد على الناس من جهتين. وهناك من يسميه في منطقة شمر بالقرب من حائل اسم المَقْرن أو مقرن الشعبان جمع شعب أي المنطقة التي تقترب عندها رؤوس الشعاب في أعلى الجبل وتكاد تقترن. وعلى ذلك فإن كلمة السَّلْع ومرادفاتها المحلية أوفق بالاستعمال من الترجمة الحرفية للمصطلح المستخدمة حالياً في الكتب الجغرافية العربية، وهي المقسم المائي أو خط تقسيم المياه.

السناف: تكوين جبلي له ظهر، ومنه ما له متن مرتفع وعر المرتقى وفيه ما هو سهل متطرف على الأرض. ويماثله العرف وهو تكوين جبلي منخفض الارتفاع طوله أكثر بكثير من عرضه في أعلاه صخور مرتكزة كأنها الأسنان، ويطلق اسم السناف على الحزن الممتد المشرف. مثل أبو سنون، سناف أحمر تعلوه صخور تشبه الأسنان يقع إلى الشمال من نفي في ضفة وادي الأرطاوي الشمالية. والمسمى نفسه يطلق على سناف أشقر يعلوه صخور بارزة تشبه الأسنان يقع إلى الغرب من عفيف على مسافة أربعين كيلاً، كما يطلق الاسم نفسه على سناف ثالث أحمر يقع إلى الشمال من عروى ويبعد عن الدوادمي نحو ستين كيلاً. ومتون السنفان عموماً من أفقر الصحاري نباتاً (ابن جنيدل ١٣٩٨، ج١: ٢١، ٦٧، ٨٠).

ومن أمثلة السنفان الوعرة سناف الطراد، وهو سناف أسود قليل الارتفاع

يقع بين هضبة المعلّق وهضاب أم المشاعيب، شمال جبل النير يرى منها بالبصر شمال الطريق بين القاعية وعفيف، وترجع سبب تسميته بالطراد لوقوع معركة حربية فيه بين قبائل من البادية جرت فيها مطاردة على متون الخيل.

وهناك سناف آخر يحمل المسمى نفسه يقع جنوب بلدة الشعراء، شرق جبل ثهلان، وهو سناف أشقر له متن مرتفع، وسمي كذلك بسبب معركة بين قبائل عتيبة من ناحية وقحطان والدواسر من ناحية أخرى (ابن جنيدل ١٣٩٨، ج٢: ٧٠٨). وسناف العرفا الواقع إلى الشرق من مطار الطائف.

الشداد: الشداد هو الرحل الذي يوضع فوق ظهر الناقة لركوبها، ولهذا فهم يسمون الجبل الصغير المستوي الظهر مع ارتفاع جانبيه شدادا. فهو في الأصل وصف ولهذا تكثر الجبيلات التي يطلق عليها هذا الاسم، ومنها شداد جبل شرق روضة مبهلة في الصلب شرق الصمان، يحف به من الجنوب جبل برمة. وشداد أكمة غرب جبل أم الهشيم في الشمال الغربي من روضة أم العصافير، وفي الصلب أيضاً (الجاسر ١٣٩٩، ج٣: ٩١٧). وفي بلاد بني الحارث شمال منطقة الباحة جبل يسمى شداد كان يمر فيه الحجاج القادمون من الجنوب.

الشرفة: مسلك عسر بين جبلين أعلى من الريع، ويسميه عرب الشمال شرف، كشرف العمامة قرب خيبر. وقبلة شرف السيالة جنوب المدينة. وهو ما يسميه العسكريون السرج.

الشَّفَا: حافة الجال من أعلاه، ويطلق أيضاً على الجانب المطل على غور تهامة من جبال الحجاز. وقد يطلق الشفا على الأرض المرتفعة مثل شفا عبلة سجى.

الشّمَارِيْخ: الشَّمْرَاخُ رأس مستدير طويل دقيق في أعلى الجبل. يقول الأصمعي «الشَّمارِيْخُ رؤوس الجبال وهي الشَّنَاخِيْبُ، واحدتها شُنْخُوْبَة». ولا زالت تستخدم في نَجْد بهذا المعنى إذ تطلق على أنوف الجبال الدقيقة شبيهة الشِّمْرَاخ من طلع النخلة.

الصمد: حزم مرتفع مكسو بالحجارة الصغيرة السود، غالباً طيني الداخل لا ينبت ظهره شيئاً. والصمد في مفهوم البادية متعدد المعاني فهو الجبل الشاهق، والصخرة الصماء، وجانب الجبل يكون من صخرة واحدة لا فواصل فيها والصمد بصفة عامة جانب الجبال.

الصُّوْح: لفظ عربي قديم لا يزال يستخدم بكثرة للدلالة على وجه الحافة

الجبلية، مثل صُوْح طُوِيْق شمال مَرَات.

والصَّوْحُ، بفتح الصاد الجانب من الرأس والجبل؛ ويقال صُوْحٌ لوجه الجبل القائم كأنه حائط، وهما لغتان صحيحتان؛ وصُوْحَا الوادي: حائطاه.

الضِّلَع (والجمع: الأضلاع): الضلع هو الجبل الصغير الذي ليس بالطويل، وقيل هو الجُبيل المنفرد. وهذا المصطلح ما يزال مستخدماً في شبه الجزيرة العربية للدلالة على هذا المعنى. وقد يطلق على الجبل الكبير.

الطود: جبل عال مشرف وعر المسالك مكسوٌ بالأشجار كطود الحجاز بين مكة والطائف، ومثله الطور عند عرب الشمال. والطور والطود هو الجبل العظيم الممتد لمسافة طويلة.

العَبَل: جبل أو حزن يتكون جميعه من المرو الأبيض، ويكون غالباً على هيئة قمة صغيرة منفردة أو جبل مدور ذي قمة وعرة المرتقى، كعبل معيقل الواقع جنوباً من الشعراء يرى منها بالبصر. له قمة مرتفعة يُرى من بعد، ويسميه البعض قديماً عبل الرياشي لأنه واقع في أعلى وادي الرياشي. كان هذا العبل من مزارات البادية يأتون إليه بمرضاهم ويطوفون حوله. وقد كتب جري الصميت إلى الشيخ عبدالله أبي بطين رسالة يسأله فيها عما يفعله جهلة البوادي حول هذا العبل وحكم ما يذبح عنده من القرابين وما يهدى له من الأطعمة والهدايا التي يضعونها فيه. وقد انقطعت هذه العادات القديمة في نجد فيما بعد.

العَبَل

وعبل ابن حميد جبل أبيض يتكون من حجارة المرو البيضاء، وابن حميد هو محمد بن هندي بن حميد شيخ قبيلة برقا من عتيبة. ويقع عبل ابن حميد في ضفة وادي الأرطاوي شمالاً شرقياً عن بلدة نفي، ويبعد عن الدوادمي ١٠٠كم تقريباً (ابن جنيدل ١٣٩٩، ج٣:٩٠٨).

وعبل مَقْذَل، عبل أبيض بارز جميع حجارته بيضاء. يقع بين سجا وعفيف، جنوب خط السيارات الذاهب من عفيف إلى ظلم وهو شرق علو وادي الشبرم. يقول فيه الشاعر ذيخان العضياني الروقي:

وشريق في مربى البكار السّهايف
مدهال طايلة الخطا حسك الاوبار
يم العبل مدهال كل الطوايف
اللي تجي له حمَّ الاشعاف صدار

ويقول عبدالرحمن بن محمد العضياني الروقي:

فاطري مرعاك في زين المشاحي
من عبل مقذل إلى ضلع الدفينه

وقد اشتهر هذا العبل لوقوعه في بلاد طيبة المرعى ينتابها رعاة الإبل، وعند هذا العبل بئر ضحلة الماء تدعى عبلا لقبيلة المهادلة من الروقة ويبعد عن بلدة عفيف عشرين كيلاً (ابن جنيدل ١٣٩٩، ج٣: ٩١٠-٩١١). وهناك جبل أبيض شرق وادي رنية قرب مركز جُرد يطلق عليه العبلاء وهو من المعادن القديمة عند العرب وله ذكر في كتب المعاجم، كما أن هناك جبلاً في الجنوب الشرقي لمدينة بيشة يكسوه البياض ويسمى الصايرة.

عبل الصاير

العبيد: عبيد تطلق على الجبل المفرد الأسود مثل عبيد خزه.

العُرْقُوب: وربما أطلق العرقوب على الطريق في عرض الجبل.

العقبة: والجمع عقب وعقاب، وعقبات وهي المرقى الصعب من الجبال أو الطريق في أعلاها. وفي اصطلاح المعاصرين هي الطريق الوعر الصعب المرتقى له هويات سحيقة بين الجبال لا يعبره إلا الراجل أو الدابة وأكثر ما تكون العقاب في الطرق من السراة إلى تهامة ومنها عقبة الباحة وعقبة بني هلال وعقبة الأبناء، وحزنة، والباحة، وهي في غامد، وعقبة الملك خالد، وسبة، وذي منعا التي نزل منها الصحابي أبو هريرة وصحبه في طريقه إلى المدينة المنورة وهذه في بلاد زهران.

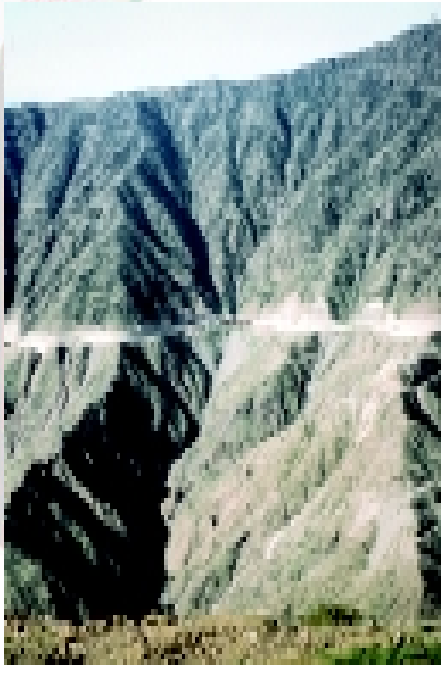

عقبة الباحة

الغار: تجويف في الجبل ونحوه يأوى إليه من يطلب الظل أو الدفء أو الاختباء. وتتفاوت في حجمها وارتفاع سقفها وهناك العديد من الغيران بالمملكة. ومنها غار حراء الذي نزل فيه الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وغار ثور الذي احتمى فيه هو وصاحبه أبو بكر الصديق رضي الله عنه في بداية الهجرة إلى المدينة المنورة، وغار عُرَيض قرب الرياض. وغار بنت الأمير قرب الدرعية وكان مما يعتقدون فيه قبل دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ويتباركون به، ويزعمون أن بنتاً لأمير في ذلك الزمان جاءها فسقة فراودوها عن نفسها، فانفلق لها هذا الغار ولاذت به، وعاد والتأم عليها حتى ذهب الفسقة عنها (ابن خميس ١٤٠٠، ج٢: ٢٢٩-٢٣٠).

وقد خاطب الشعراء الغار، مثلما صنع صاهود بن طوالة:

يا ساح ظل الغار شبيت به نار
وقلطت محماس على شف بالي
ابنشدك ياغار ياغار ياغار
عن من قعد بك من قديم وتالي

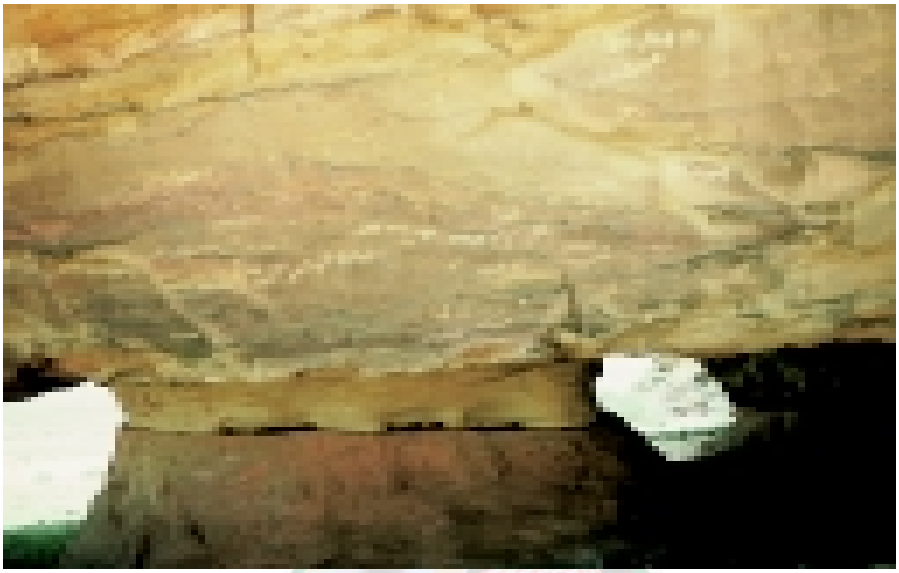

جانب من غار أبو ركزه بجبل حبران

ياما حضرت من القبايل والادوار
وياما مضى لك من عداد الليالي
وياما حكوا في فيتك فصل الاشوار
وخيلٍ تربّط في جديد الحبالي

الغرق: تطلقه البادية على المنحدر الصعب في الجبل والهيال في العرق صعب المرتقى وصعب النزول. يقول الشاعر الشعبي الدندان:

رقيت رجمٍ ضحى في اعلى حجا طوقه
تصفق علاوي عروقه برد الانوادي

وقال ابن مقارح:

يبرى لها مبرية الساق شلواح
قبا قحومٍ للطرايد لحوقي
كن طمرها لى سمعت النق بصياح
طمر الفهد مع عاليات العروقي

الفاو: هو الطريق المنبسط بين جبلين، والمراد به الفج بين جبلين وأصله الفوة، فهذا الفج بين الجبلين بمثابة الفوة لهما، وقد يسمى فجاً. ويعرف بالعلمية إذا لم يكن بالمنطقة سواه، وقد يتعين بالإضافة. فمنها فاو قرية قرب السليل وفاو الهدار وفاو العتش وفاو الكظيمة.

الفاو

ودهو الممر الواسع الطويل بين مرتفعين وهو أصغر من الفاو.

الفَج (الفِجَاج): الطريق الواسع بين جبلين، وقيل في جبل أو في قُبل جبل، وهو أوسع من الشعب كفج الكريمي المطل على مر الظهران من الشمال مقابل الحديبية. وقيل هو الشعب الواسع أيضاً، ويكون طويلاً كثير العشب.

القُلَّة (القِلال): رأس الجبل، ويقال أيضاً قُنَّة الجبل وجمعها قُنَن وقِنان. وقيل القنة الجبل الصغير، وقيل الجبل السهل المستوي المنبسط على الأرض وقيل هو الجبل المنفرد المستطيل في السماء، ولا تكون القنة إلا سوداء.

القهب: تكوين جبلي يشبه السناف ذا المتن المرتفع. وقد يكون صغيراً غير أنه لا يكون منفرشاً في الأرض، ولا يكون القهب إلا أغبر أو أحمر عليه غبرة (ابن جنيدل ١٣٩٨، ج١: ٢١). مثل أبو نبطة قهب أحمر تعلو جانبه برقة، يقع شمالاً من هجرة الحيد شرق حمى ضرية ويبعد عن الدوادمي تسعين كيلاً تقريباً إلى جهة الشمال.

وأبو نبطة أيضاً قهب آخر أحمر مرتفع تعلو جانبه برقة، يقع صوب مطلع الشمس من هجرة عريفجان وشرقاً من منية الحمراء، وهو غير بعيد عن الذي قبله، وقد أخذ شهرته من موقعه حيث يقع في أطيب مراتع البادية وأحبها إليهم، وفيه يقول سليمان بن شريم:

ساعة قريت الخط والعلم لي بان
دنيت لي مسطورةٍ بنت مسطور
شيباً من الشيب الشلاهيب مقران
من كثر ما اقفت واقبلت تقل بابور
مرباعها بين الحنادر وبنبان
وما كفته حزوى عن العرق بحدور
ومقياظها بين النويع وجسران
ولها بابو نبطه معازيب ونشور

وقهاب ليف أحد جبال ضَرْيَا الواقعة غربي العقيق اكتشفت به معادن مؤخراً (الزهراني ١٤٠١: ٢٠٥). وقهاب ثراد في بادية بني كبير وقهب الحيران إلى الجنوب من عشيرة، وقهب النعيم غرب نفود البشارة في أقصى عبلة الحوميات ويبعد عن مركز الحوميات الواقع على طريق الرياض-الطائف السريع ٢٣ كم إلى الجنوب.

القويد: تكوين جبلي طبيعي يشكل امتداداً طبيعياً لجبل يمتد على اتجاه واحد، أو عدة هضاب تشكل صفاً منتظماً في اتجاه واحد. الفيروزبادي في القاموس: القائد من الجبل أنفه، وكل مستطيل من أرض أو جبل على وجه الأرض (ابن جنيدل ١٣٩٨،

ج١ : ٢٢)، وهو شبيه بالسناف إلا أنه أكبر منه وأطول وأكثر ارتفاعاً. وقد يطلق على القويد النظيم.

اللَّجف (والجمع الألجاف): واللجف في الجبال يكون في صوح الجبل الأعلى (طيرانه) كهوف صغيرة أو كبيرة وعادة ما تعشش فيها الجوارح من الطيور.

المحالة: ثقب في الجبل.

المذروب: هو الجبل أو الجبيل له رأس واحد دقيق مرتفع، والصخرة المنفردة الطويلة الدقيقة في رأس الجبل وفي اللسان: الذرب كل شيء حاد ومن الجبال التي عُرفت بهذا الاسم مذروب الذبحة إلى الشمال الشرقي من المجمعة.

المرقاب: جبل مذروب صالح للمراقبة، يصعد فيه من يتطلع إلى شيء يبحث عنه. وكذلك المرقب.

المزبان: كالحيد أو المرقب مما يزبنه الإنسان ويلتجئ إليه.

المطراق: درب ضيق كالزقاق بين النخل أو في سفح الجبل.

المهد: جبل متوسط، فإذا صغر صغروه فقالوا مهيد.

المَهدُّ: مصطلح محلي يطلق في عسير على السلع، أو المقسم المائي.

المِيْرَكة: ظهر الجبل المتطامن تحت جبل آخر.

النَّاب (الأنْيَاب): مسلات صخرية تنشأ في العادة عن توسيع المفاصل الصخرية في صخور الحجر الرملي أو الجيري، وهي تسمية محلية تستعمل في منطقة العلا في غرب شبه الجزيرة العربية وفي غامد وزهران تجمع على نيبان.

النَّفْنَف (وجمعها النَّفَانف): أسناد الجبال التي تعلوها وتهبط منها. ولا تنبت النفانف شيئاً لأنها خشنة غليظة بعيدة من الأرض.

النقب: طريق شق في الجبل مصعداً عسر المرقى ويطلق عليه في الجنوب النقبة.

الوَسَق (الوُسْقَان): مصطلح محلي يطلق في شمال الحجاز على السلع، أو المقسم المائي. والوسق لدى عامة البادية ظهر الجبل الذي يقع بين مرتفعين.

جبال الحجاز

تشمل جبال الحجاز في المملكة كل السلاسل الجبلية الممتدة من اليمن جنوباً حتى الحدود الأردنية شمالاً، بطول يزيد على ١٧٠٠كم. وقد تباينت الأسماء لهذا الإقليم الجبلي تبايناً ظاهراً في الكتابات الحديثة نتيجة لطباعة عدد من الخرائط التي وردت فيها أسماء محلية لها من دون الرجوع إلى التسميات الموثقة

في الكتابات العربية عند الجغرافيين العرب. وكان من أبرز الاختلاف في التسميات ما يتعلق بتحديد كل من الحجاز والسراة وعسير. وبالرجوع إلى الكتابات العربية نجد أن الحجاز هي جبال تحجز بين تهامة ونجد، ويقال لأعلاها السراة.

وإذا استعرضنا القطاع العرضي لهذه الجبال بدءاً من سهل تهامة في الغرب إلى الشرق، نجد أن ارتفاع سطح تهامة يزداد نحو الشرق تدريجياً لمسافة تختلف بين منطقة وأخرى حسب سعتها، إلا أنها تصل إلى ارتفاعات تتراوح بين ٢٠٠-٣٠٠م فوق مستوى سطح البحر. ثم يليها نحو الشرق الجبال التهامية، ويتراوح ارتفاعها بين ١٠٠٠-١٥٠٠م، وهي جبال تأخذ صفة الانفراد أحياناً ولا تشكل سلسلة متصلة، بل هي كتل غير متجانسة من الصخور النارية الباطنية، تنحدر بشدة نحو تهامة. وتشكل هذه الجبال كتل الانكسارات السلمية التي تسبق الانكسار الرئيسي في الشرق الذي يحدد جبال السروات والحجاز. وأهم هذه الجبال التهامية: جبل فَيْفَا، وجبل شدا الأسفل، وشدا الأعلى، وجبل كبكب، وبقية جبال مكة الواقعة إلى الشرق منها.

وتتصاعد السفوح الجبلية خلف جبال تهامة تدريجياً حتى تصطدم بقاعدة الجرف الانكساري لجبال السروات، الذي يرتفع أحيانا إلى أكثر من ١٠٠٠م فوق تلك السفوح، إلا أنه يتلاشى بشكل تام إلى الشمال من دائرة عرض مكة المكرمة نتيجة لعوامل باطنية (تكتونية) وأخرى خارجية تمثلت بعمليات التعرية المختلفة.

وتنحدر سفوح جبال الحجاز تدريجياً نحو الشرق لتلتقي مع الهضاب الغربية، ولا تشكل هذه السفوح مناطق مسطحة إلا في أماكن محدودة منها. وقد استغلت هذه المناطق غالباً للاستقرار البشري، وهي بحد ذاتها تشكل خطوط تقسيم المياه بين الأودية المتجهة غرباً إلى البحر الأحمر، وتلك المتجهة شرقاً إلى داخل المملكة. ويتراوح متوسط عرض هذه الجبال بين ١٠٠-٢٠٠كم.

وفي جبال السراة الأشعاف والأصدار. وتطلق الأشعاف في سراة الجنوب على القرى القريبة من السلسلة الجبلية المشرفة على تهامة. وهي حافات جبال السراة التي تُرى تهامة منها مناطق مرتفعة نسبياً باتجاه الغرب بحيث تواجه الرياح الغربية والجنوبية متميزة عن بقية الأقسام مما زاد نصيبها من الأمطار السنوية وزادها اعتدالاً في الحرارة والرطوبة،

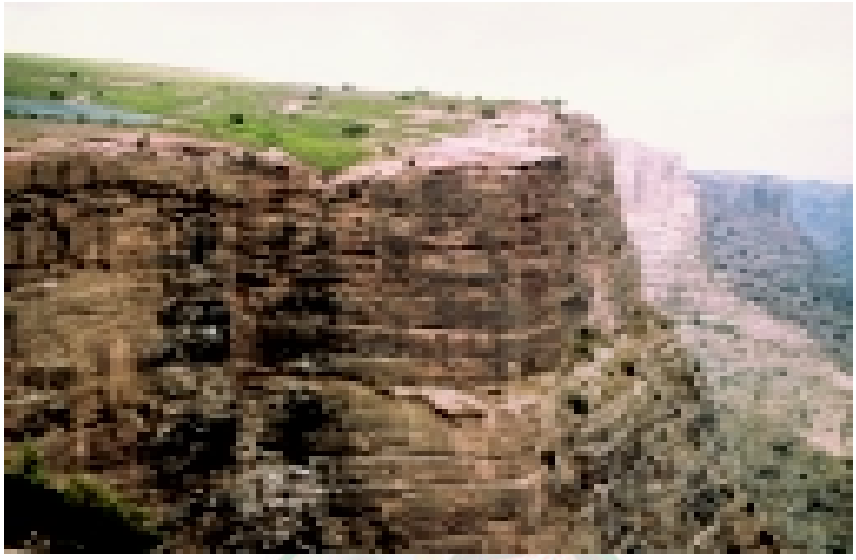

الشّعف (الحبله)

فانتشرت فيها النباتات الدائمة الخضرة، لاسيما الأشجار كالعرعر والعتم والطلح والشث والعثرب وغيرها. ومن أمثلة هذه الأشعاف: شعف آل معافا، وشعف آل مروح، وشعف آل سودة، وشعف آل عضاه، وشعف الشرف، وشعف البنان، وشعف جارمه. وهذه الأشعاف تطل على تهامة وترتبط بها عن طريق العقبات التي من أشهرها عقبة ساقين وعقبة برمة (الشهري ١٤١٤: ١٩). وهناك شعف بلقرن، وشعف خثعم، وشعف غامد، وشعف زهران، وشعف بني مالك، وشعف بني سعد؛ وكلها مشرفة على تهامة ومنها عقبات للاستطراق. كما يطلق الشعف على حافة الجبل ذي الانكسار العميق كجبل الحبلة وما يحيط بحافاته يسمى شعف كشعف جارمة.

أما الأصدار فهي مناطق وسطية بين السراة وأغوار تهامة، عادة مما يلي مناطق الأشعاف من الغرب؛ وهي مناطق دافئة، لذلك كان أهالي السروات يقضون فيها فترة الشتاء كاملة ساكنين بصفة مؤقتة في بيوت صغيرة أو مجموعات سكنية متفرقة تعرف باسم الحِلال، جمع حِلَّة، حيث يحلون فيها بعض الوقت ثم يرتحلون عنها، ومعهم الأغنام والأبقار لوفرة المرعى في سفوح الجبال والأودية. ومن أصدار تنومة المعروفة الأربوعة وأوال ومخبطة وذا العرفين والحمة والدار والسودة وغيرها (الشهري ١٤١٤: ٢٠). وهناك من يسميها

أحد الأصدار ببلاد زهران

جبال التهم. وفي بلاد غامد وزهران من الأصدار المشهورة من الجنوب إلى الشمال: صدر الأبنـاء، صدر حُزنة، صـدر بني حدة، صدر ذات الجبل، صدر الباحة، صدر عبدالرحمن، صدر مَزْحَك، صدر نعاس، صدر آل حمامة، صدر برحرح، وكل هذه الأصدار مشهورة بكثرة مياهها، وبزراعة الموز والكادي والبن والليـمون، وإنتاج العسل الجيد. كما أن وسط الجبل العريـض المواجه للإنسـان يسمى صدر وتجمعها البادية صدور. ويطلق الصَّدْرُ عادة في نَجْد بشكل عام على منحدرات الأرض السهلة التي تقـع تحت الجبال أو الكثبان الرملية المستطيلة. وبادية النفود تطلقه على الجزء الشمالي من العرق.

أما القطاع الـطولي لجبال الحجاز، فيتميـز بانحداره العام من الجنـوب إلى الشمال. ففي الجنوب يزيد ارتفاع بعض الجبال أحياناً إلى أكثر من ٣٠٠٠م، كما هو الحال في جبل السُّودة في سراة عسير (٣٠٢٥م). ويقل الارتفاع شمالاً ليصل إلى معدل ١٥٠٠-٢٠٠٠م فـي جبال الطائف، ويستمر كذلك حتى جبال مَدْيَن فـي أقصـى الشـمـال. إلا أن بعـض الانكسارات، سواء أكانت تلك الموازية للبحر الأحمـر أم المتعامدة عليه، أدت إلى ارتفاع بعض القمم عن المتوسط العام للجبال التي حولها، أو انخفـاضها عنه حيث يصل ارتفاع بعض جبال مدين في أقصى الشمال إلـى أكثر من ٢٥٠٠م،

كما في جبل اللَّوزْ المحاذي لخليج العقبة. وسنستعرض فيما يلي أهم سروات جبال الحجاز متجهين من الجنوب إلى الشمال.

سراة وادعة. تقع في أقصى جنوب المملكة. وقد سميت باسم قبيلة وادعة التي استوطنتها، شأنها في ذلك شأن بقية السروات. وتشكل هذه السراة منطقة تقسيم المياه بين الروافد المنحدرة غرباً إلى وادي بيش وتلك المتجهة شرقاً إلى وادي نجران. ويصل ارتفاع هذه السراة إلى ٢٥٠٠م فوق مستوى سطح البحر، وتتوسطها مدينة ظهران الجنوب التي تقع إلى الشرق من خط الشِّعاف الشَّفا، مما يجعلها قليلة الأمطار لوقوعها في منطقة ظل المطر.

سراة قحطان. تقع إلى الشمال الغربي من سراة وادعة. وتنقسم إلى قسمين. أولهما سراة عَبيْدة التي تقع إلى الشمال الغربي مباشرة من سراة وادعة، وتحتل منطقة تقسيم المياه بين روافد وادي بيش غرباً وروافد وادي تثليث شرقاً حيث يعيش أفراد القبيلة في المجاري العليا للوادي الأخير. ونظراً لانحراف خط الشعاف نحو الغرب، فإن سراة عبيدة أكثر مطراً من سراة وادعة. وتعتبر مدينة سراة عبيدة (قرية البوطة سابقاً) العاصمة الإدارية لهذه المنطقة. والقسم الثاني هو سراة رُفيدَة التي تقع إلى الشمال الغربي من سراة عبيدة. وهي تشرف من الغرب على

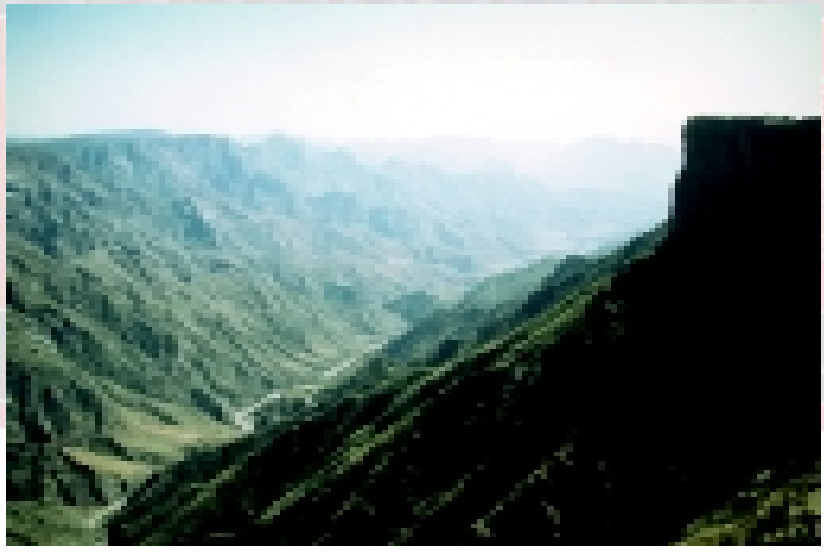

سروات جبال الحجاز حيث المجاري العليا لوادي بيش

المجاري العليا لوادي بيش ووادي عِتْودْ من ارتفاع يصل إلى ٢٣٧٠م. وتقطع هذه السراة من الشرق المجاري العليا لوادي بيشة، وقد كان لانحراف خط الشعاف، ومقابلته للمؤثرات البحرية وقربه من البحر الأحمر أن أصبحت سراة رفيدة من أكثر المناطق مطراً في جنوب غرب المملكة، وهو ما أدى إلى انتشار الغابات فيها، كما هو الحال في غابة القَرْعاء وغابة تمْنية. وتعتبر قرية الكامل، التي تعرف حالياً باسم أَحَدْ رُفَيْدَة مقر محافظة المنطقة.

سراة عسير. تلي سراة رُفيدة حيث يتقدم خط الشعاف في سراة عسير إلى الغرب وإلى غرب الشمال الغربي من سراة رفيدة، وهي ميزة تضاف إلى المميزات الأخرى كالارتفاع الكبير والتضاريس المستوية التي أدت إلى زيادة الكثافة السكانية في سراة عسير التي تضم أعلى قمة في المملكة على الإطلاق وهي قمة السودة (٣٠٢٥م فوق مستوى سطح البحر)، مما يفسر الزيادة الكبيرة في معدل الأمطار الساقطة عليها. وتشرف سراة عسير من خط الشِّعاف غرباً على الروافد العليا لكل من وادي عتود ووادي حلي وشرقاً على المجاري العليا لوادي بِيشَة. وقد سكنت قبيلة عسير المناطق المَرتفعة التي تلي السراة نحو الشرق، بينما جاورتها إلى الشرق قبيلة شهران التي تسكن عند المجاري العليا لوادي بيشة.

سراة عسير

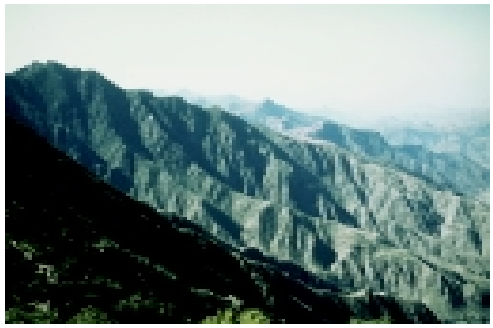

جبل السّودة في سراة عسير

وكانت هذه السراة تعرف قديماً باسم سراة عَنْزْ إلا أن مسمى سراة عسير أصبح أكثر انتشاراً من الاسم السابق نتيجة لظروف تاريخية مرت بها المنطقة. وتعتبر مدينة أبها وخميس مشيط من أهم المراكز العمرانية في سراة عسير، ومن أكثر المناطق كثافة بالسكان، وهي تحتل يوما بعد يوم مكاناً مرموقاً نظراً لاهتمام الدولة بالمصايف والغابات المنتشرة في المنطقة.

سراة الحجر. تلي سراة عسير؛ وهي تنتسب إلى حجر بن الهَنُوءْ من الأزد، ويسكنها قبائل بلَّحْمَر وبلَّسْمَر وبنو شَهْر وبنو عَمْرو، وكلها تنتسب إلى أبناء الحجر المذكور، وهي تسكن السراة من الجنوب إلى الشمال على الترتيب السابق ذكره. حيث تجاور بـلَّحْمَر سراة عسير جنوباً كما يجاور بنو عمرو سراة بَلْقَرْن شمالاً. وتتجه سراة الحجر نحو الشمال الشرقي مما يقلل من تعرضها لمواجهة الرياح الممطرة مقارنة بسابقتيها سراة عسير وسراة قحطان. وعلى الرغم من الارتفاعات العالية لهذه السراة، التي تتراوح بين ٢٢٠٠ و٢٧٠٠م فوق مستوى سطح البحر، إلا أن بعض مناطقها، كما في النماص، تزيد فيها الأمطار لتضاهي أكثر مناطق المملكة مطراً. وتقطع منطقة تقسيم المياه في هذه السراة عدة أودية أهمها واديا صَلَـحْلَحْ، وتَرْج اللذان يتجهان شمالاً ليصبا في وادي بيشة. وقد تأثر هذان الواديان مع عدد كبير من روافدهما بعمليات حت شديدة أدت إلى ضيق المساحات الأفقية اللازمة للاستقرار البشري في هذه المنطقة. أما من الغرب فيحد خط تقسيم المياه جرف الشعاف الذي يكاد يشكل جداراً قائماً إلا في المواقع التي استطاعت الأودية أن تصل إليه وتقلل من انحداره، وهي قليلة على أية حال، وتمثل المجاري العليا لوادي حلي. ويغلب طابع الريف والبداوة على سكان هذه السراة، حيث تكثر القرى وتقل المدن. وباستثناء بعض القرى التي اتخذت مراكز إدارية وأسواقاً، كما هو الحال في بلّسْمَر وتَنُومَهْ والنماص، فإن سراة الحجر تخلو من أية مدن حقيقية.

سروات بلـقرن وشمران. تلي سراة الحجر. وقد سميت بأسماء القبائل

المستوطنة فيها كما في باقي السروات. وتتباين اتجاهات خط الشعاف في هذه المنطقة بين الشمال والغرب والشمال الغربي حسب عمليات النحت التراجعي التي تسببها الروافد العليا لوادي قَنُونَةْ، وقد أثرت تعرجات هذه السراة في تباين تعرضها للرياح الموسمية المطيرة مما أدى إلى تنوع المناخ فيها. كما أسهم انخفاض ارتفاعها إلى مستويات ٢٠٠٠-٢٢٠٠م فوق مستوى سطح البحر وقد تنخفض أحياناً إلى ١٧٠٠م في أقصى الشمال في هذا التنوع، وظهرت فقيرة بالغطاء الغابي إذا ما قورنت بالسروات السابقة الواقعة إلى الجنوب منها، أو حتى تلك الواقعة إلى الشمال منها كسراة غامد وزهران. وتقطع منطقة تقسيم المياه في هذه السراة وادي تَبَالة -المتجه شمالاً بشرق إلى وادي بيشة- ووادي شواصْ المتجه إلى وادي رَنْيَة شمالاً. ونظراً للظروف المناخية السالفة الذكر قلت كثافة السكان في هذه السروات، ومعظمهم من الريف والبادية. وتعتبر سبت العلايا المركز الإداري لبلاد بالقرن، وقرية قَرنْ ابن سَاهِرْ مركزاً لمنطقة باشوت، وشقيق شُمْرَان وشمران مركزين لهاتين المنطقتين. وقرية آل قادم مركزاً لقرى خَثْعَمْ.

سراة غَامِد وزَهْران. تمتد هذه السراة من بلاد خَثْعَمْ جنوباً حتى سراة بني مالك شمالاً. وذلك إلى الشمال من وادي تربة بعد انحرافه شرقاً قرب جبل إبراهيم. وتسكن هذه السراة قبيلتا غامد وزهران، وهما قبيلتان من الأزد سكنت الأولى القسم الجنوبي من السراة، بينما سكنت الثانية القسم الشمالي منها، حيث تمتد سراة غامد من بلاد خثعم جنوباً حتى شمال مدينة الباحة بحوالي خمسة أكيال. ويمتد خط الشعاف في المنطقة غرباً جنوبي وادي قِذَّانة (أحد روافد وادي رنية) ثم شمالاً ثم غرباً بزاوية قائمة حتى بلجرشي حيث يعود للاتجاه شمالاً حتى بني كَبِير ليتجه غرباً، ثم نحو الشمال الغربي حتى الباحة. ويفصل خط الشعاف، الذي يكوّن خط تقسيم المياه غالباً، بين الروافد العليا لوادي رَنْيَة المتجهة نحو الشمال الشرقي وبين الروافد العليا لأودية قَنُونَة والمجاري العليا لوادي الأَحْسِبة، المتجهة نحو الغرب والجنوب الغربي. وقد قطعت الروافد العليا لوادي رنية السفوح الشمالية الشرقية للسراة، التي تتكون من هضبة تنحدر تدريجياً في الاتجاه نفسه، بينما تنحدر السفوح من الجهة الأخرى بشدة نحو الجبال التهامية، ويتم ذلك غالباً عن طريق جروف قائمة، كما هو الحال في شَفَا بلْجُرَشي أو في شَفَا الحُمْرَانْ أو شفا الباحة، ويقدر مدى الانحدار

سراة غامد وزهران بين الباحة والمخواة وتظهر في الصورة عقبة الباحة

بحوالي ١٠٠٠-١٤٠٠م في مسافة تتراوح بين ثلاثة إلى خمسة أكيال.

ويتراوح ارتفاع سراة غامد بين ٢٠٠٠-٢٢٠٠م فوق مستوى سطح البحر، إلا أنه تظهر بعض قمم خط الشعاف بارزة إلى ارتفاعات أعلى من ذلك، وأهمها من الجنوب إلى الشمال: جبل أثرب، وجبل حُزنَة، وجبال بني ظبيان وجبل الحميين وجبل جَعَادة. وقد أدى ارتفاع سراة غامد وانحراف خط الشعاف فيها نحو الشمال الغربي إلى أن أصبحت كثيرة الأمطار بحيث يزيد معدلها غالباً عن ٣٠٠ملم، ولكنها لا تلبث أن تقل سريعاً إلى الشرق بعد بضعة أكيال مما جعل الاختلاف واضحاً بين حزام الشعاف، الذي لا يخلو من الغابات، وبين السفوح الشرقية والشمالية الشرقية الجرداء. ومن أشهر الغابات في سراة غامد من الجنوب إلى الشمال: غابة ماطوه، والقمع، والعطفين، ومَوْطِف، والسكران، والهيجا، وخيْر، وبني هلال، والخالة، وشِكْران، وأم غيث، وشهبة، ورغدان. وغابات سراة غامد من أشهر الغابات في جبال الحجاز مما دفع حكومة المملكة إلى الاهتمام بها لأنها مناطق سياحية بشق طريق عقبة الباحة ضمن سلسلة من الأنفاق والجسور عالية التقنية لتربط بين مدينة الباحة والمخواة في تهامة.

ونظراً للظروف الطبيعية الملائمة فقد ازدادت الكثافة السكانية في هذه السراة.

وتعتبر مدينتا بلجرشي والباحة من أهم مدنها، وقد تبادلتا دور مركز الإمارة، إلا أن مدينة الباحة أصبحت أخيراً مركزاً لإمارة منطقة الباحة التي تضم كلا من سراة غامد وسراة زهران. ويتبعها ست محافظات وعدد من المراكز في السراة وتهامة والبادية.

أما سراة زهران فتمتد من منطقة مستشفى الباحة إلى الشمال من المدينة بحوالي خمسة أكيال وحتى جبل إبراهيم، الذي يمثل الحد الفاصل بين بلاد زهران وبني مالك. وتمتد إلى أكثر من سبعين كيلاً نحو الشمال الغربي، وتمتد شرقاً إلى عشرة أكيال، وأكثر من ٤٥ كيلاً في الشمال. أما خط الشعاف فهو يبدأ من جبل بيضان (٢٥٣٠م) المشرف على غابة رَغْدان من الشرق، وجبل العرضة (٢٥٦٥م) وجبل الداية (٢٤٠٥م) المشرف على تهامة في الجنوب الشرقي. ويشكل خط تقسيم المياه بين وادي قَوْب، أحد روافد وادي رنية، ووادي الصَّدْر، أحد روافد وادي تربة. وعلى ذلك فإن سراة زهران تتميز بوجود خطين من القمم أحدهما يتفق مع خط الشعاف ثم يليها نحو الشرق وادي الصدر المتجه شمالاً موازياً لخط الشعاف، وثانيها خط القمم الممتدة إلى الشرق من وادي الصدر التي قد يزيد فيها الارتفاع عن خط الشعاف، وقد استغلها الطريق المتجه إلى الطائف عبر مناطق بني سار وبني حسن. وينخفض خط الشعاف اعتباراً من جبل بيضان (٢٥٣٠م) وبني هريرة (٢٤٠٠م) الواقعة في الجنوب الشرقي إلى المندق (٢٠٥٠م) في الشمال الغربي.

وقد كان لارتفاع سراة زهران واتجاه خط الشعاف فيها نحو الشمال الغربي، أن قابلت السراة الرياح الرطبة التي ساهمت في انتشار الغطاء النباتي وجودة نموه فيها. ويبلغ معدل الأمطار في المندق ٣٨٥ملم، خاصة أن الروافد العليا لوادي الشَّاقَة اليمانية ووادي دقة مهدت الطريق لوصول الرياح الرطبة إليها، فانتشرت الغابات والزراعة المطرية، وإن كانت الغابات أقل كثافة من جيرانها في سراة غامد. وأهم الغابات في سراة زهران من الجنوب إلى الشمال غابة الزرائب، والشاعر، والأنصب، والسنّوت، والعرنين، والعشباء، والعِشَوَة، والكاحلة، وظهر الفدا، وسيحان، وبرحرح. أما المناطق الداخلية من السراة، التي تقع إلى الشرق من وادي الصدر فهي، وإن زادت فيها الارتفاعات أحيانا عن خط الشعاف، إلا أن الغطاء النباتي فيها سرعان ما يتحول إلى غطاء عشبي

وشوكي كلما اتجهنا شرقاً. ويعود خط الشعاف إلى الارتفاع أحيانا والى الانخفاض أحياناً أخرى ليتراوح بين ٢٠٥٠ و٢٢٥٠م حتى نهاية سراة زهران، كما في جبلي حَرْف وسيحان (٢٢٤٦م) اللذين يشكلان الحدود الشمالية لسراة زهران، إلا أن جبل إبراهيم (٢٦٣٠م) هو الحد الواضح لهذه السراة شمالاً.

وتضم سراة زهران ثلاث مناطق رئيسية هي: منطقة بني حَسَن والمَنْدَق وأهم مدنها أو قراها الرباع في بني حسن، والمندق، ومنطقة دُوس وبَرَحْرَح، وتقع إلى الشمال الغربي من الأولى؛ وأهم مدنها برحرح، والمنطقة الثالثة القُرى وتقع إلى الشرق من خط الشعاف وأهم مدنها الأَطَاوِلَة.

ويطلق في الجنوب اسم البِيداء على الجبل ذي القمة الواسعة المستوية وهي أقل ارتفاعاً من بقية الجبال ومنها بيداء العقيق في منطقة الباحة؛ وقد أصبحت مطاراً للمنطقة، وبيداء صخوان ببادية بني كبير ولا تزال بكرا ولها مثيلات في مناطق أخرى.

سروات بني مالك وثقيف وبلحارث وبني سعد. تمتد من الحدود الشمالية لسراة زهران عند جبل إبراهيم حتى جنوب الطائف بطول يزيد على ١٠٠كم، ويتراوح عرضها بين ١٥-٢٥كم؛ ومع أن هذه السروات هي امتداد شمالي غربي للسروات الواقعة إلى الجنوب الشرقي منها، إلا أنها تختلف عنها في عدد من الخصائص الجيولوجية والصخرية حيث تسببت الانكسارات في ظهور هذه السروات بأشكالها الحالية، وساعدت بنية الصخور أيضا في سهولة تعرية خط الشعاف وتراجعه نحو الشرق بواسطة الأودية المتجهة نحو البحر الأحمر. ومن أهم هذه الأودية من الجنوب إلى الشمال: وادي الشَّاقَة اليمانية والشَّاقة الشامية، ووادي الليث، ووادي يلملم، ووادي إِدَام، حيث عملت هذه الأودية على تراجع الجرف الانكساري لخط الشعاف مسافة كبيرة نحو الشرق في عدة مواقع مما جعله كثير التعاريج، بل يتلاشى أحياناً أخرى نتيجة لشدة الحت التراجعي لهذه الأودية. أما السفوح الشرقية والشمالية الشرقية فقد تقطعت بالأودية الرافدة لكل من وادي تربة، بالدرجة الأولى، وروافد وادي بشيان المتجهة نحو الشمال الشرقي. وقد خفضت كل من الأودية التهامية والأودية الشرقية مناسيب خط الشعاف من ٢٢٠٠م إلى ١٧٥٠م مما أثر على كمية الأمطار الساقطة على هذه السروات التي تتعرض لكل من المؤثرات شبه الموسمية والمؤثرات المناخية المتوسطية. وقد

جبل كرا – طريق الطائف مكة عبر الهدا

أدى ذلك إلى حدوث تباين كبير في كمية الأمطار بين الحزام المتاخم لخط الشعاف والمناطق الداخلية، كما تتباين في خط الشعاف ذاته. فبينما تظهر بعض المناطق مغطاة بنطاق من الغطاء النباتي الذي يصل إلى حد الغابات، كما هو الحال في جبل الحَدَب الذي يفصل بين بني مالك وبني سَعْد، وغابة غَمْدَة، وغابة المُوَقر في سراة ثقيف، نجد مناطق أخرى عشبية المظهر كما في بني مالك، وأخرى صحراوية كما في بني سعد.

وينتهي خط الشعاف شمالاً عند بلدة الهَدَا إلى الشمال الغربي من الطائف حيث يتلاشى نهائياً بعد عدة كيلو مترات إلى الشمال منها. ويتغير أيضا مظهر الجبال التي تودع الخضرة نهائياً في الطائف التي تعتبر أحد المصايف الهامة للمملكة، خاصة لسكان مكة المكرمة وجدة.

جبال الحجاز الوسطى بين الطائف والمدينة المنورة. ينتهي خط الشعاف بالتحديد إلى الجنوب من خط عرض بلدة السَّيْل الكبير في المجرى الأعلى لوادي فاطمة. وإلى الشمال من ذلك تتغطى سلاسل جبال الحجاز الوسطى حتى المدينة المنورة بالأغشية البازلتية لحرَّة رُهاط. وتسمى قديماً بحرة بني سليم، والواقع أن حرة رهاط تشتمل على أسماء محلية عديدة حسب القبيلة التي تسكنها فهناك حرة العزاعزة، وحرة الروقة، وحرة مطير وحرة حرب. وتبرز بعض

الالتواءات في تكوين وادي فاطمة البريكامبري

الجبال فوق مستوى الحرَّة إلى الشرق وإلى الغرب منها، إلا أنه يمكن القول إن سطح الحرة يمثل أعالي جبال الحجاز في هذه المنطقة الذي يماثل خط الشعاف في جبال السروات. ويقطع الحرة في اتجاه تهامة عدد من الأودية، أهمها من الجنوب إلى الشمال: المجرى الأعلى لوادي فاطمة، والمجرى الأعلى لوادي خليص، ووادي رابغ، ووادي الصفراء. وتبتعد حرَّة رُهاط في قسمها الشمالي عن القمم نحو الشرق لتغطي السفوح الشرقية من جبال الحجاز، تاركة في الغرب كتلة جبلية تتمثل في جبل صُبْح إلى الشرق من بَدْر حُنين. أما السفوح الشرقية فيحدها وادي العقيق الذي يجري في اتجاه الشمال حتى المدينة المنورة. وهذا القسم من جبال الحجاز من أكثر الأقسام انخفاضاً، ولا يزيد منسوبها فوق مستوى سطح البحر عن ١٢٠٠م إلا في مواقع محدودة. وهي جبال قاحلة إذا قورنت بجبال السروات جنوباً. وتتوزع الأمطار الساقطة على صخور البازلت في حرة رُهاط حسب

سفح جبل حراء

الانحدارت الطبوغرافية لسطحها. فيتجه القسم الأول منها نحو الأودية الساحلية، بينما يتجه القسم الثاني نحو الجوانب الشرقية للحرة مكونة مجموعة من السباخ تمتد من الجنوب إلى الشمال على حدود الحرة متضمنة وادي العقيق الذي يبدأ من شمال الطائف متجها شمالاً حتى المدينة المنورة. وقد أصبحت هذه السباخ المالحة مناطق مجدبة خلافاً للأودية الغربية التي استفادت من هذه المياه في الزراعة المنتشرة في بطونها.

جبال الحجاز الوسطى بين المدينة والوجه. تمتد من المدينة حتى جنوب الوجه حيث يحدها جنوباً وادي الصَّفْرَاء، الذي يصب غرب بدر، وشمالاً وادي الحَمْض، الذي يصب إلى الجنوب من الوجه. وفي هذه الجبال يقترب خط القمم من الساحل، كما تتقارب الجبال أيضاً بعضها من بعض لتلاصق خط الساحل عند مدينة أُمْ لُجْ. ويتراوح منسوبها بين ١٦٠٠م و١٧٥٠م فوق مستوى سطح البحر. وتتغطى معظم هذه القمم بالأغشية البازلتية لحرة لونَيِّر. ويكاد يفصل وادي الفَرْعَة، الذي يصب جنوب ينبع، هذه الجبال إلى قسمين: جنوبي شرقي أقل ارتفاعاً، وشمالي غربي أكثر ارتفاعاً. ويصل ارتفاع بعض القمم إلى ١٨١٤م، كما هو الحال في جبل رَضْوى، إلى الشمال الشرقي من مدينة ينبع، الذي يتكون من انبثاق جرانيتي مُقاوم لعمليات التعرية، وجبل مشقق إلى الشمال الغربي منه، الذي يتوسط القسم الجنوبي لحرة لونير. أما السفوح الشرقية لهذه الجبال فيحدها وادي الحمض الذي يفصلها عن حرة خَيْبَر. ومع أن هذه الحرة تمثل امتداداً عرضياً لجبال الحجاز الوسطى في هذه المنطقة، إلا أن منسوبها أقل بكثير من الجبال الواقعة إلى الغرب إذ يتراوح بين ١٠٠٠ و١٢٠٠م فقط فوق مستوى سطح البحر.

جبال مدين (الحجاز الشمالي). تمتد بين مجرى وادي الحَمْض جنوباً والحدود السعودية الأردنية شمالاً، ويعرف هذا القسم بمنطقة مَدْيَن. وفي الجنوب من هذه الجبال انخفضت المنطقة الممتدة بين المجرى الرئيسي لوادي الحمض وروافده ومدينة العُلا. ومن أهم هذه الروافد وادي الجَزْل ورافده وادي مَطَران. وقد أسهم تركيب القشرة الأرضية من الصخور الهشة في هذا التخفيض كثيراً. وتعلو الأغشية البازلتية لحرة العُويرض وحرة الرَّحا قمم الجبال الممتدة من العُلا حتى جبال مَدْيَن إلى الجنوب الغربي من تبوك، وتتراوح الارتفاعات في هذا

جبل رضوى

القسم من الجبال بين ١٢٠٠-١٤٠٠م. كما شق وادي الجَزْلْ مجـراه شمالاً مما أدى إلى فصل الجبال هنا إلى سلسلتين: شرقية تعلوها صخور حرة العويرض، وغربية هي الامتداد الجنوبي لجبال مدين، ولكنهـا تعود سلسلة واحدة عـند حرة الرَّحَـا. وتتراوح المـناسيـب فيهـا بين ١٤٠٠-١٦٠٠م فوق مسـتوى سطح البحر. لكن بعض القمم يزيد ارتفاعها عن ذلك كجبل ثدرا (١٥٠٠م) في حرة العويرض، وجـبل أم بَرَكة (١٧٠٠م) في حرة الرَّحا. وقد تزيد ارتفاعات بعض القمم كثيراً كما في جبل الدُّبَغ (٢٣٥٠م) الذي يقع فـي جبال مدين إلى الغرب من حرة الرحا، وهو انبثاق من الصخور الجرانيـتية الصلبـة يشرف على هـضبة حِسْمَى من الـشرق، كما يشرف على قرية المُويلح الساحلية في الغرب.

ومما يميز جبال مدين (كما هو الحال في الحجاز الوسطى) قلة تقطعها بالأودية

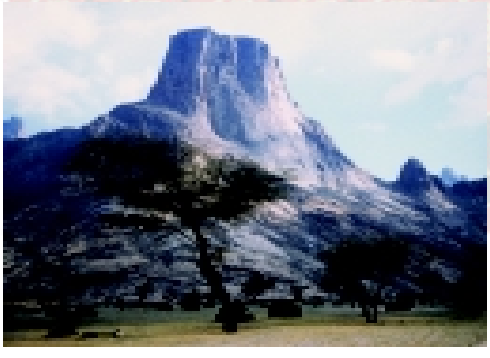

جبل الدبغ

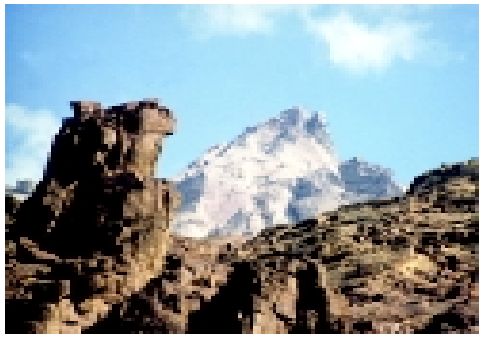

التعرية الجرانيتية بجبل الدبغ

من السفوح الشرقية خلافاً لما في السفوح الغربيـة. ففيما عدا وادي الـعلا (رافد وادي الجـزل-وادي الحـمـض) ووادي الأخضر الذي ينتهي في منخفض تبوك، تكـاد تخلو هـذه السفوح مـن أنظمـة تصريف أخرى. وربما كان السـبب في ذلك يعود لقلة الانحدار، حيث تنحدر السـفوح من أعالـى حرتي العـويرض والرحا بـصورة تدريجـية نحو الشـرق والشمال الشرقي. أما الـسفوح الغربية لهذه الجبال فهي مقطعة بشدة بعدد كبير من الأوديـة، أهمها مـن الجنوب إلى الشمال: روافد وادي الحمض، ووادي المـياه، ووادي زَرِيـب، ووادي ثلـبة، ووادي دُمَا، ووادي السِّر، ووادي الصدر التي تصب جميعـها في البحر الأحمر في الساحل الممتد بين جنوبي مدينة الوجه وجنوبي الشَّرمة.

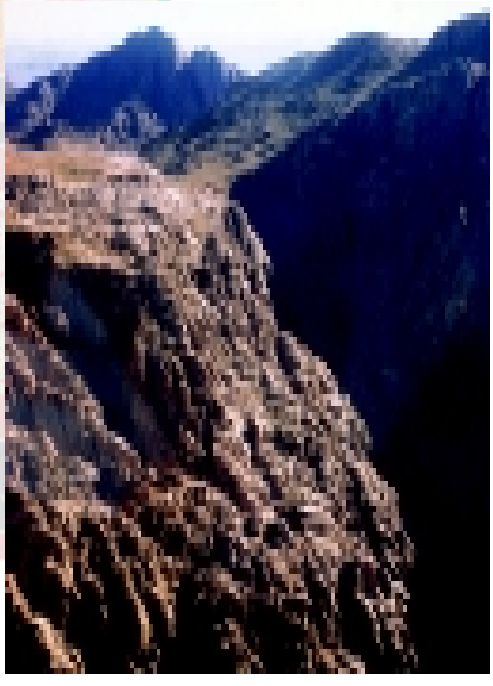

جبل اللوز بمنطقة تبوك

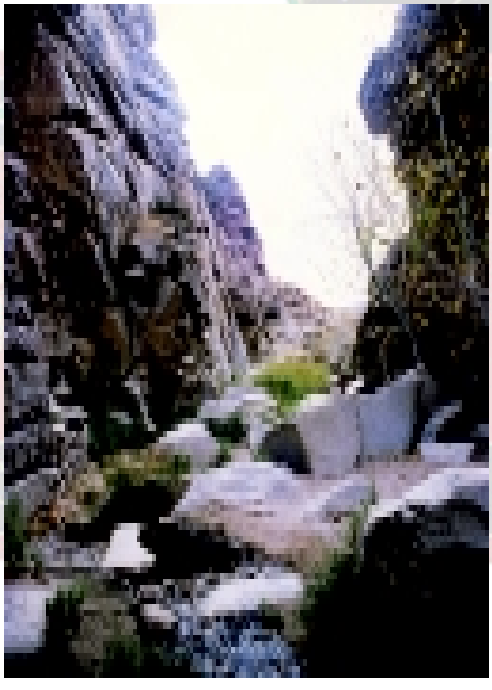

غدير بجبل اللوز وبه نباتات نادرة

جبال شمال الحجاز، ضروس نارية من الجرانيت

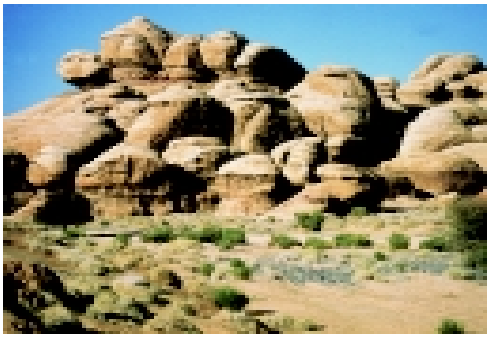

جبل تذرع، مثال للصخور الأرضية الهشة

وتمتد جبال مدين نحو الشمال حتى الحدود السعودية الأردنية، وتمثل نهاية امتداد جبال الحجاز نحو الشمال. وخلافاً لبقية جبال الحجاز، تتميز سفوح جبال مدين في هذه المنطقة بشدة انحدارها في معظم الاتجاهات. فهي تنحدر بشدة نحو خليج العقبة في الغرب، ونحو خليج الشرمة في الجنوب، ونحو هضبة حِسْمَى في الشرق. كما يظهر الجبل منها كتلة صخرية كبيرة. ووادي عِفَال من أهم الأودية التي تقطع هذه الجبال، إذا ما استثنينا بعض الأودية القصيرة المتجهة نحو خليج العقبة؛ وأهمها وادي أم جُرفَين عند مدينة حقل، فقد شق وادي عِفَال، الذي استغل انكساراً أخدودياً، هذه الجبال إلى سلسلتين: شرقية تسمى جبال الشفا وهي الأكثر ارتفاعاً حيث يصل ارتفاع قمة جبل اللَّوز فيها إلى ٢٤٠٣م. وغربية أقل ارتفاعاً ويتراوح ارتفاعها بين ١٢٠٠-١٤٠٠م، بينما يصل أعلى ارتفاع فيها في قمة جبل البَوارَة ١٨٧٥م فوق مستوى سطح البحر. ويصرف وادي عفال مياه السفوح الشرقية للسلسلة الغربية، والسفوح الغربية للسلسلة الشرقية ماراً بمدينة البِدْعْ ثم يصب جنوب قرية قْيَال في خليج الشرمة إلى الشرق من رأس الشيخ حميد.

وجبال مدين من أكثر مناطق جبال الحجاز جفافاً. فهي على الرغم من تأثرها شتاء بالرياح الشمالية الغربية، إلا أن امتداد هذه الجبال في الاتجاه يجعلها موازية لهذه الرياح، ومن ثم تقل فرص تعرضها لها. كما أن وقوع هذه الجبال في ظل المطر، حيث تتقدمها مرتفعات جنوب سيناء ومرتفعات شمال مدين، قد زاد من جفافها. وعلى الرغم من أن ارتفاع بعض القمم قد أحدث زيادات كبيرة محلية في الأمطار، مما أدى إلى قيام بعض التجمعات البشرية في قرى

عدد من الأودية، إلا أنها تبقى جبالاً جرداء أقرب إلى أن تكون صحاري جبلية.

الحافات الجبلية في نجد

تقع نَجْد السفلى، أو سافلة نجد، إلى الشرق مباشرة من عالية نَجْد. وهي تتكون من الأحجار الجيرية والرملية والطفل، وتتميز المنطقة بحافات جبلية تواجه الغرب. ولذلك تسمى أحياناً بمنطقة الحافات أو الجيلان، والجال صفحة الجبل القائمة. وهو لفظ دارج في عموم شبه الجزيرة العربية يطلق على الجيلان المتوازية الممتدة شرقي شبه الجزيرة العربية ابتداء من العارض أو جبل طويق. ويطلق على الجانب اللطيف الانحدار الظهر، أما الجانب الوعر من الجال فيسمى بعدة أسماء منها الجرف والخرم والخشم. (كما يطلق الجال على جال الوادي وجال الركية أي الجانب).

أما الخشم فهو الطرف البارز من الجبل كالخشم (أنف الإنسان) بارزٌ في وجهه مثل خشم الحصان قرب رغبة، وخشم أبا الهيال وخشم أم الرحال وخشم العرنية في الغاط وخشم العان في الرياض وخشم عان شيبان إلى الشرق من مدينة نجران وخشم عاصم شرق وادي رنية وخشم المهاريس في جال خرطم وخشوم المغيب في صفراء حقيل.

جبال طويق عند حوطة بني تميم

وخشم الرعن؛ والـرعن هو الأنف العظيم من الجبل تراه متقدماً وذكره العوني في قصيدته المشهورة (الخلوج) إذ قال:

وابـكي عـلـى دارٍ ربيـنـا بربـعـها
معـلومةٍ خشـم الرعن هـو شمالـها

والرعن هو الجـبل الكبير. ويطلـق هذا الاسم علـى عشرات الأعلام التي تتوزع في أطراف الجيلان في شبه الجزيرة العربية. والخشيم نعف الجبل الصغير إذا انقاد إلى السهل.

وتقوم الأودية القصيـرة الشابة التي تنحدر من ظهـور الجيلان عبر جروفها بتمزيق تلك الجروف وتقطيع صخورها مشكـلة أراضي وعرة يـصعب قطعـها بالمركبات. وقـد عبر القدماء عن تلـك الأراضي بعدة تـعريفات، منها الجُـرُف والخَشْم والخَرْم. وقد فسر العرب الخرم بأنه جُبيلات وأنوف جبال، تمامـاً مثلما فسـروا الخشـم، وأطلقـوا ذلك عـلى الجوانب الوعرة من الجروف. ومن أمثلة ذلك قـول الأزهري «الخَـرْم بكـاظمـة جُبيلات وأنوف جبال» وقد قصد بذلك الجرف المطـل على جون الـكويت من مرتفعات المطلاع (جال الزور). ومن هذا الاسم اشتق لفظ آخر هو المَخْرم وجمعه المَخَارم، وقد سمت العـرب الطرق في الجبال وأفواه الفِجاج المخارم.

والجيلان حافـات ظاهرة للطبـقات الرسوبية نتيجة الحت المتفاوت، تميل ميلاً طفيفاً متماثلاً ناحية الشرق ويبلغ متوسط عرض هذه المنطقة ٢٥٠كم. ومن المعلوم أن الرياح الحاملـة للرمال تضع حملهـا أثناء مرورها بعوائق تقلل من قدرتها على حمل الرمال، ولهذا نجد أن الرياح تُرَسِّبُ كمـيات هـائلـة من الـرمال بـين هذه الحافات؛ فحيثـما نجد حافة جبلية نجد أمامها غالباً رمـالاً تزيد في الحجم، أو تـقل حـسب ارتـفاع الحـافة الجـبلـية واستمرارها وتوفر مصادر الإرساب. وإذا مررنا في نجـد السفلى من الـغرب إلى الشرق فإننا نصادف عدداً من الحافات أو الجيلان المسماة بـأسماء محلية لا تشير إلى تركيبها الجيولوجي وهي:

حافة العصودة وتوابعها. وهي حافة غير بارزة وغـير متصلة. تبـدأ عند ممر وادي الفُوَيْلِـق باتجاه الشمال الشـرقي، وتتخذ أسماء متعددة، منها جال العصودة ابتداء من دائـــرة العـــرض ٣٠ َ٢٦ْ شمالاً، ثم جـال الطِّرَاق، ثم تقطـعها الأودية والشعاب مثل وادي التِّرْمُس الذي يسيل من جبال حِبْشِي، والخِدَار في منطقة الدرع العربي إلى الغرب من بلدة العُظَيم من قرى شمر بحوالـي ١٠كم، ويتجه نحو الشرق ماراً بمدينة شَرِي وينتهي بمحير

التِّرْمُس غرب عرق المَظْهُور، ووادي أبا الكُرُوش، وساح أبو رِمْث، وشعيب السَّاقِيَة. ثم تظهر الحافة مرة أخرى باسم جال الساقية عند دائرة العرض ٢٧َ ٢٧ْ شمالاً، بعد السهل الحصوي المعروف بالسِّعِيرَة. وبعد هذا يستمر تقطعها إلى فرائد جبلية تفصلها سهول حصوية. وبعد شعيب الصدر تظهر حافة أخرى باسم جال الزرقاء تستمر في اتجاه شمالي جنوبي حتى بقعاء في منطقة حائل. ونتيجة للصدوع الموجودة في هذه المنطقة، وللتعرية السيلية الشديدة، تقطعت الحافة في هذه المنطقة. فالصفراء المفترض وجودها خلف جال الزرقاء جرى نحتها إلى عدد من الجيلان المتوازية تنتمي كلها لتكوين تَبُوك.

حافة السِّرِّ وتوابعها. وهي حافة جبلية طويلة تمتد شمالاً وجنوباً. وتعود هذه الحافة لتكوين خُفّ ذي الحجر الجيري. وفي شمال بريدة لا تظهر هذه الحافة متصلة ولكن على شكل جيلان محلية بسيطة الارتفاع. ففي أقصى الشمال عند دائرة العرض ١٥َ ٢٧ْ شمالاً وخط الطول ٣٠َ ٤٣ْ شرقاً نجد جال الخفيات، الذي يقع جنوب شري بالقصيم، يقطع اتصاله مع جال قُصَيْبَاء وادي الترمس. ثم تختفي الحافة لتظهر مرة أخرى عند غاف الجِوَاء مما يمكن تسميته بجال الجواء حتى قرية الشُّقَّة قرب مدينة بُرَيْدَة. وفي هذه المنطقة تنطمر الحافة تحت نفُود الغَمِيْس كما يخترقها وادي الرُّمَّة، ولكن عند مدينة عُنَيْزَة تظهر هذه الحافة مرة أخرى باسم صفراء عُنَيْزَة حتى دائرة العرض ٠٠َ ٢٦ْ شمالاً، وبعده باسم صفراء المُرَبَّع حتى العَمَار على دائرة العرض ٣٣َ ٢٥ْ شمالاً وخط الطول ١٨َ ٤٤ْ شرقاً، وبعد ذلك تتخذ اسم صفراء السِّرِّ. وتستمر نحو الجنوب الشرقي بدون انقطاع حتى دائرة العرض ٥٠َ ٢٤ْ شمالاً وخط الطول ٣٤َ ٤٤ْ شرقاً تقريباً حيث يخترقها وادي مَغِيْب أمام جبال غُرَّب، ومن هنا جنوباً يتحول اسم صفراء السِّرِّ إلى اسم محلي هو صفراء حَقِيْل حتى دائرة العرض ٤٣َ ٢٤ْ شمالاً حيث يخترقها وادي التَّسْرِير الذي يمر من خلاله طريق الحِجَاز القديم ما بين شَقْراء والدُّوَادمي، ثم يتحول الاسم إلى صفراء الدُّمَيْثِيَّات. وبعد هذا جنوباً تتحول هذه الحافة إلى خشوم جبلية بارزة وجبال منفردة، منها جبال خُفّ التي قطعتها الشعاب والأودية التي تجري شرقاً، ومنها وادي العَبْسَة الذي يمر بين خشم العَبْسَة والظَّعَيْنَة، ووادي سُوفَة، ووادي الحَرْمَلِيَّة، ووادي القُوَيْعِيَّة. وتنتهي هذه

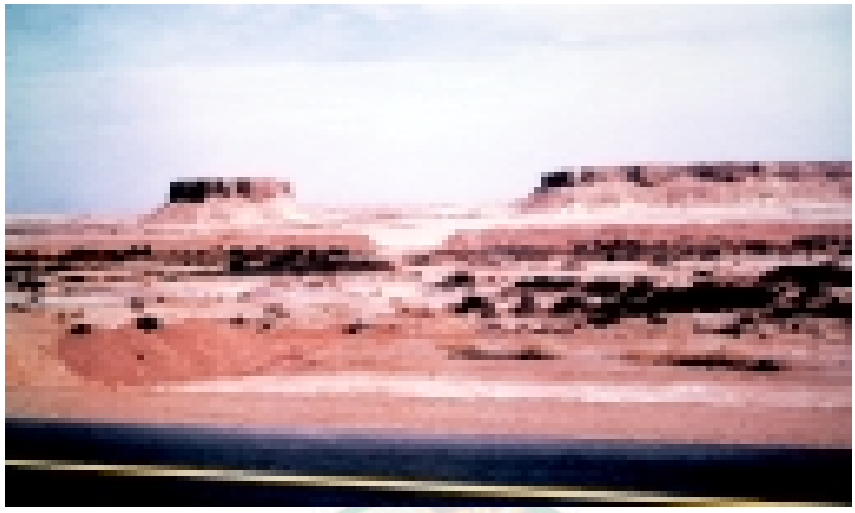

خشم منقطع في جال خرطم

الحافة عند دائرة العرض ٠٠ َ ٢٣ْ شمالاً عند منطقة الهُوَّة. وهنا يلتف وادي العَمْق، الذي كان يجري باتجاه الجنوب الشرقي نحو وادي الرَّكَا، يلتف حول نهاية الحافة قبل اتصاله بوادي الرَّكَا، ثم يتجهان معاً نحو الشمال الشرقي إلى الغرب من نفُود الدِّحِي لينتهيا في منخفض كبير ذي سباخ متميزة.

جال خرطم وجال الوطاة. تقع إلى الشرق من صفراء عُنَيْزَة. وهي حافة متقطعة غير بارزة سوى في موضعين، هما جال خَرْطَم وجال الوُطَاة، وهما تابعان لطفل سُدَير. أما جال خَرْطَم فهو يمتد من شمال العَوسِجيَّة حتى ما وراء الطُّعميَّات بحوالي خمسة أكيال، ويفصل وادي الرُّمَّة بين جال خَرْطَم وجال الوُطَاة الذي يستمر باتجاه شمالي شرقي حتى دائرة العرض ٤٥ َ ٢٦ْ شمالاً.

جال الأسْيَاح والشُّمَاسِيَّة وتوابعه. تقع إلى الشرق من نفُود السِّر ونفُود الطُّرْفِيَّة وصَعَافِيق، حيث تبدأ في الظهور حافة جبلية أخرى تكون في أبرز صورة لها على امتداد الربيعيَّة والشُّمَاسِيَّة وتوابعها. وهذه الحافة تتبع صخورها تكوين منطقة الجِلْه ذات الحجر الرملي والطميي وحجر الطفل الحديدي والجبسي، وهي تبدأ من جال مُدَرَّج في الشمال عند دائرة العرض ١٥ َ ٢٧ْ شمالاً ثم تتجه نحو الجنوب الشرقي. وعند دائرة العرض ٠٠ َ ٢٧ْ شمالاً وخط الطول ٤٠ َ ٤٣ْ شرقاً يصبح اسمها جال القَعْرَة حتى خشم الغَرَّة، ومن بعده يصبح اسمها جال الأسْيَاح

حتى تختفي عند مجرى وادي الرُّمَّة الذي يخترقها. كما أنّ نفوديّ الغَمِيْس والطُّرْفِيَّة يدفنان جزءاً منها في هذه المنطقة. ويبدأ ظهور الحافة مرة أخرى جنوب مجرى وادي الرُّمَّة ابتداء من الرُّبَيْعِيَّة وتستمر نحو الجنوب الشرقي باسم جال الشُّمَاسِيَّة. وتنقسم الحافة في هذا النطاق إلى حافتين، الأولى منخفضة سهلة الانحدار، والثانية مرتفعة شديدة الانحدار يمتلئ سطحها بحصى وجلاميد من الأحجار الرملية. وبجال الشُّمَاسِيَّة نتوءات عديدة تسمى خشوماً، لأنها تشبه الأنوف في بروزها من الوجه. ويقطعها عدد من الشعاب التي تجري بعكس الاتجاه العام للميل. ويقطع تتابع جال صفراء الأسْيَاح وجال الشُّمَاسِيَّة مجرى وادي الرُّمَّة، عبر فجوة يمر منها في اتجاهه نحو مصبه في الخليج العربي أثناء العصور المطيرة. وإلى الجنوب الشرقي من جال الشُّمَاسِيَّة بعد جبل الرُّوَيْكِب، تتخذ الحافة اسماً محلياً آخر هو جال الرُّوَيْكِبَة أو الرُّكَيْبَانِيَّة الذي يستمر حتى تندفن الحافة برمال نفُود المَواصِل عند دائرة العرض ٢٥َ ٢٥ْ شمالاً التي تصل بين نفُود المَلْحَاء ونفُود السِّر ومن المحتمل أن تتضمن منخفضاً كان يمر من خلاله أحد الأودية شق فجوة خلال الحافة. وإلى الجنوب من نفُود المَواصِل تظهر الحافة مرة أخرى باسم جديد هو جال الجِلْه الذي سرعان ما يتغير إلى جال جلْه العِشَار جنوب دائرة العرض ٢٥ْ شمالاً بعد فجوة كونتها الشعاب التي تعبر الحافة، وتستمر هذه الحافة في اتجاهها الأول نحو الجنوب الشرقي حتى دائرة العرض ٢٤َ ٠٠ْ شمالاً.

وفي نَجْد عموماً، تسمى مقدمة الحافة بالجال وقفاها أو ظهرها بالصفراء، فإلى الشرق من هذه الحافة الجبلية هناك صفراوان، هما صفراء الأسْيَاح وصفراء المِسْتِوي. أما صفراء الأسْيَاح فهي ظهر لجال الأسْيَاح وجال القَعْرَة وهي تنحدر نحو الشمال الشرقي إذ يبلغ ارتفاعها في الغرب ٦٥٢م وفي الشمال الشرقي ٦٣٢م في المتوسط. وقد ساعدت الشعاب التي تنحدر منها على ظهور واحات كثيرة، مثل قرى الجَعْلَة وعين ابن فهيد وطُرَيْف والتُّومَة والبُرُود وحُنَيْظِل وأبا الدُّود. وتعد صفراء المِسْتِوي امتداداً لصفراء الأسْيَاح، يفصل بينهما مجرى وادي الرُّمَّة. وصفراء المِسْتِوي هي ظهر جال الشُّمَاسِيَّة وجال الرُّوَيْكِبَة. ومعظم الشعاب في صفراء المِسْتِوي تتجه نحو الشمال والشمال الشرقي متتبعة الاتجاه العام، إذ يبلغ ارتفاع صفراء المِسْتِوي ٦٩٤م في جزء الجال المطل على مزارع الزَّرقاء بالشُّمَاسِيَّة،

و٦٨٤م عند العُوَيْقِلية بالرُّبَيْعِيَّة، و٦٧٢م عند طرقة سُويلم، و٦٢٥م عند ظهر الحِمَار، و٦٠٧م عند سَمراء الوَعَد، وأقل من ٦٠٠م عند قاع مهنَّا. وهكذا نرى بأن هناك انحداراً تدريجياً ناحية الشمال.

وتعتبر الصفراء مكاناً مثالياً لتجمع مياه الأمطار وجريانها في شعاب، وفي صفراء المِسْتِوي عدد كبير منها. وإلى الشرق من صفراء المِسْتِوي تبدأ مظاهر حافة أخرى هي منكشف لتكوين المنجور. وقد قطعت الأودية الصغيرة والشعاب هذه الحافة إلى ضلوع متفرقة نظراً لانخفاض مستواها العام، حتى أن شعيب الأَدْغَم وروافده اخترقتها إلى صفرائها. وهذا أدى إلى انعدام تمييز جال أو حافة واضحة للعيان بل مجرد مرتفعات محلية. ومن الممكن أن تسمى مقدمتها جال المِسْتِوي لأنها تتوسطه، وصفراؤها بصفراء المِسْتِوي لأنها في الواقع مشابهة لصفراء المِسْتِوي في المظهر العام. وقد لا يعي الشخص العابر للمنطقة هذا التحول من دون مراجعة للخريطة الجيولوجية. وأهم هذه المرتفعات والضلوع: ضلع (قارة) بُرْمَة (٦٢٧م) وجال أبو بَرْقَاء (٦٦٤م) وضلع (قارة) أم الدِّبَر (٥٩٧م) وضلع (قارة) الفَرْق (٦٠٠م)، وضلوع أم رُوْس (٥٩٤م) وأبْرَق الخَابِيَة (٦٠٠م) وأبرق خَمِيْس (٥٨١م) قرب النَّبْقِيَّة وضلع عَنْز (٦٣٨م).

وأهم القُور (جمع قارة) هي قارة مُحَمَّد (٦٠٠م) وقارة أبو نَخْلَة (٦٥٢م). والقارة هي مرتفع بسيط من الأرض يتميز عن الانبساط العام في الصفراء بنتوئه،

جبال شمال الحجاز، ضروس نارية من الجرانيت

وناتج عن فعل عوامل التعرية. فالقارة عادة تحتوي على صخور أصلب مما حولها مما جعلها تقاوم النحت، لهذا بقيت على شكل هضيبة مصغرة.

وتقع الأراخم في شرق المِسْتِوي على دائرة العرض ١٤َ ٢٦ْ شمالاً، وخط الطول ٣٦َ ٤٤ْ شرقاً، وهي قارات ثلاث كانت تعد الحد الشرقي للقصيم. وفي ذلك يقول الشاعر محمد العوني:

ومن شرق طعسين الاراخم تحدها
بين اللوى والسر ما اطيب اسهالها

والأرخم لفظ آخر مرادف للفظ الأبرق. فالأراخم جمع أرخم، وهو اسم لكل تكوين صخري به بياض، ويحكي أهل الشُّمَاسِيَّة القريبة من الأراخم أن ذئباً كان يسكن الأراخم هجم على صبي في الشُّمَاسِيَّة وأخذه فانتدب لقتله رجل منهم يسمى بدير السنيدي فذهب إلى جحر الذئب في الأراخم وقتله، وأنشد قصيدة بعد أن أحضر الذئب في عيبة إلى الشُّمَاسِيَّة ميتاً، يقول فيها:

ياذيب الارخم وِشْ اللِّي جَاك
تِشيْل غَالي مَعَازِيْبك
لِي صَار تَمْر النَّخل ما ايزاك
والعِدْ يَسْقي لَواهِيبك
هَجَدْتِنَا البَارح وزرْنَاك
واليَوم نشرف على طِيْبك
اليوم بالِمزْوِده شِلْنَاك
عقْبَ الشِّجَاعة بدا عيبك

والأبرق والبرقاء والبرقة -كما جاء في معجم البلدان- بمعنى واحد وجمعها أبارق وتجمعهما البادية أيضاً على برقان، والأصل في البرق اختلاط البياض والسواد، ثم توسع فيه فأطلق على كل لونين اختلطا وهي حجارة مختلطة برمل، وقد يكون جبلاً مخلوطاً برمل وهي البُرْقة، وكل شيء خلط من لونين فقد بَرَق. وهو في الأصل صفة ثم استعمل استعمال الاسم. قال ابن شميل: البرقة ذات حجارة وتراب، وحجارتها الغالب عليها البياض وفيها حجارة حُمر وسُود، والتراب أبْيض أَعْفر، وهو يبرق لك بلون حجارتها وترابها، وإنما بَرَّقها اختلاف ألوانها. وتنبت أسنادها وظهرها البقل والشجر نباتاً كثيراً، يكون إلى جنبها الروض أحياناً، كما جاء في لسان العرب. وقد يكون الأبرق علماً سامقاً من حجارة على لونين أو من طين وحجارة.

مما سبق يتضح أن هناك شكلين من أشكال الأبارق هما: حجارة مختلطة برمل، وجبل مخلوط برمل. ويميز البدو اليوم بين هذين الشكلين، فيدعى

أبرق الحسكي – التيسية

الأول عندهم الأَبْـرَق وجمعه أَبارق، ويـدعى الـثانـي بَرْقَـا وتجمـع علـى «بَرْقات»، وقد أثبتت هذه التفرقة في مفتاح الخـريطة نصف المليـونية لشبـه الجزيرة العربية التـي وضعتها مصلحة المساحـة الأمريكية للـمملكة الـعربية السعودية، فوصف النوع الأول بأنه تل صخري تحيط بسفوحه الرمال، ووصف النوع الثاني بأنه تل صخري تعتلي أحد جوانبه الرمال.

وهناك من البادية من يرى أن الأبرق كل جبل غـطى حوافه أو أحد جوانـبه رمل ولا فرق عـندهم إلا بالحجم فـإن كان كبيـراً ومرتفعاً فهـو أبرق وإن كان صغيراً ومنخفضاً فهي برقة.

ومن أمثلة النوع الأول أبرق اللّعَاعَة الواقع جـنوب جبل سُواج فـي منطقة القصـيم. وهو تل صخـري من حجر الجرانيت الذي أثرت فيه التعرية والتشقق تأثيراً كـبيراً، واختلطـت مفتتات تلـك الصخور مع الرمال المسفية بالرياح. ويتأثر هذا الشكل أساساً بالتباين الحراري بين الليل والنهار، إذ تنخفض درجة الحرارة في هذه المناطق انخفاضاً كبيراً ليلاً، يقابله

ارتفاع كبير في درجة الحرارة في النهار بسبب تسليط الشمس لأشعتها باستمرار معظم النهار تقريباً، وتفوق حرارة سطح الصخر كثيراً حرارة الهواء الملامس له، كما تقل أيضاً النهاية الصغرى عن ذلك كثيراً. ويحدث عن هذه التغيرات اليومية تناوب الشد الأفقي في الطبقات السطحية من الصخور المعرضة، فإذا ما تجاوزت الجهود المتولدة قوة مقاومة الصخور حدث التشقق والتقشر. ومما يساعد على ذلك اختلاف تركيب معظم الصخور من معادن تختلف في مقدار تمددها وانكماشها. ويتماثل الأبرق في هذه الخاصة مع حُزوم الحجر الرملي والحزوم الجرانيتية في المنطقة ولكن لا يطلق على تلك الحُزوم أبارق لتجانس مكوناتها من الصخر والفتات. أما الأبرق فسمّي بذلك لدخول عنصر جديد في تكوينه هو الرمال التي سفتها الرياح. كما تبدو بعض حزوم المَرْو التي تنتشر شمال بلدة مسكة شبيهة بالأبارق إلا أنها لا تسمى بذلك الاسم بل يطلق عليها لفظ العَبَل.

أما النوع الثاني من الأبارق فيمكن تمثيله ببرقة خَلّ الطَيْر الواقعة شمال شرقي بلدة الجِرْدَاوية في القصيم. وهي رمال رسبت فوق سفح أحد الجبال المواجهة لمهب الرياح، ومع استمرار الترسيب علت الرمال سفح ذلك الجبل فأصبح لذلك السفح لونان، لون الجبل الأسود القاتم ولون الرمال الذهبي. والبَرْقاء بهذا تختلف عن الأبرق في وضوح الفارق اللوني بين الجبل والرمل، كما أن عامل الرياح هو العامل السائد في تشكيلها.

وقد اهتم العرب بذكر الأبارق الواردة في كتب الشعر والأدب، فاجتمع لياقوت منها مائة برقة. وكانت العرب تنسب تلك البراق للمواضع القريبة منها أو لنوع الصخر فيها أو لأحد الرجال، فسموا بُرْقة الدآث وبرقة الصَّفا وبرقة سَعْد. وعدد الأبارق في بلاد العرب يفوق الرقم الذي ذكره ياقوت، فهو كما أشرنا لم يذكر سوى الأبارق المذكورة في كتب العرب وأشعارهم. ومعظم تلك الأبارق لم تحدد التحديد الدقيق، فيذكر ياقوت على سبيل المثال أن برقة لَفْلَف بين الحجاز والشام. ولم يزد على ذلك.

وتشاهد الأبارق بكثرة في الجبال والتلال التِّهامية التي تغطيها الرمال المذراة بالرياح التي تهب غالباً من الشمال الغربي أو الغرب أو الجنوب الغربي. ومن أهم الأمثلة عليها أَبْرَقْ الرَغامَة الواقع إلى الشرق من مدينة جدة. والأبرقان مثنى أبرق؛ وهما أبرقان متجاوران يقعان شمال

شرق تنصاب في وادي صلة من أسفل نجران إلى الغرب من منفذ الخضرا وأبرق العين إلى الشمال الشرقي من جبل سنح في منطقة نجران والواقع إلى الشرق من محافظة يدمة. وأبرق تغوث بين الطائف وتربة إلى الجنوب الغربي من جبل حضن، وأبرق دبسا في منطقة الساقية إلى الغرب من حافة جبال العارض، وإلى الجنوب من قرية الفاو، وإلى الشمال الشرقي من مركز الخالدة. وبرق الجبل؛ وهي مجموعة برق متصلة ومستطيلة في شمال بيشة، وفي غرب جبل أسن على مسافة يسيرة، ومعاميد أُسُن، وحنانات، والأوق والحبل كلها معروفة في ضواحي بيشة، ويعرف أسن الآن باسم أبو سنون والأوق باسم وقط.

وفي عالية نجد هناك أَبْرَق البراعم قرب نفود المنثورة الواقعة إلى الشمال الشرقي من مدينة الخرمة، وأبرق المِلح جنوب شرق مدينة عفيف في الطرف الشمالي الغربي من نفود السر. ومنها أَبْرَقُ الْجِلبَة الذي يقع على متن جذِيْب أسود غرباً من خال الدفينة، ببلاد قبيلة الروقة من عتيبة، ويقول فيه شاعر من عتيبة:

يَمّ ابْرَقِ الجلبه جرى لي عَشِيَّه
لا واهَنِيٍّ اللِّي عن أسبابها غاب
جانا مع ابن هريس قوم رويه
جونا وجيناهم نرمّي بالاسلاب

وكذلك أبرق جِمْعَة (أبو وشام) الذي يقع في بلاد قبيلة الْمْقِطَة شمالاً من هضيبات الحصيات وهو أبرق كبير، وجمعة التي ينسب إليها هذا الأبرق امرأة من قبيلة المقطة ماتت عنده، وقبرت فيه، والبعض يسمونه أبو وشام، إذ فيه سواد وبياض. ويبعد عن عفيف جنوباً مئة وثلاثين كيلاً (ابن جنيدل ١٣٩٨، ج١: ٤٦-٤٧). وأبرق خَسَاران، وهو أبرق كبير مشهور بهذا الاسم يقع جنوب ماء سجا، غرباً جنوبياً من عفيف. وهو الذي ذكره شالح بن ماضي الحمقي أحد شعراء قبيلة المقطة بقوله:

دارٍ مراقيبه سواة الذيابه
قز اللحوم ان جا من الوسم ودان
ما اقبل به القوز الحمر من ترابه
ما طرّته حوضا وما ادنى خساران

ويقع هذا الأبرق في ملتقى بلاد برقا ببلاد الروقة. ويقول شالح الحمقي أيضاً، وهو يصف ناقته:

يازين لدَّة وجهها مع قفاها
توحى الموده من خساران ويمين

وهناك أَبْرَق خَنُوْقَة، وهو أبرق واسع، يحفّ بجبل خنوقة من الشرق، تراه ببصرك وأنت تسير على الطريق

المسفلت مـقبلاً على بلدة البجـادية من ناحية الشرق، شمال الطريق (ابن جنيدل ١٣٩٨، ج١: ٤٨). ويسـميه البـعض أبرق دفْنان، ويقولون إنه يسكن فيه سيد من سـادات الجن الذيـن يسكنـون في خنوقة، ويروون قصصاً وأخباراً عن جن خنوقة وسـيدهم دفنان، وفي ذكر هذا الأبرق يقول شـاعر من أهل الشعراء، الذين يسكنون في خنوقة ولهم فيها آبار يزرعونها:

ياهل الـركايب عراوى القلـب مِتْلَّه
هجُّوا هـجِيجٍ ترى الـدِّرْهام بِحْـيْها
لـي فاطـرٍ كِنَّـها تـاطَى عـلى مَـلَّهْ
تَجْفَلْ إلى اوحت حَسَاس الجَيْش قافيها
هنـيّ من شاف خـشم بْحَـارْ زامٍ له
وابـرق خنـوقه وحـيٍّ ساكـنٍ فيـها

ومن ذلك أبرق القوز (أبرق العزاف) أبرق كبير يقع في ناحية نفود القوز من الغرب وهو غرب الربذة وشمال السليلة في بلاد قبيلة حرب ويبدو أنه هو الذي ذكر في كتب المعاجم باسم أبرق العزاف. ويقال إن بـه من الجن أكثـر من ربيعـة ومضر.

وأبرق المضياح: أبـرق كبير واسع يقع في بلاد المجضع (المضجع) شـرقاً من رمل عرق سبيع وغرباً من الدخول، وفي جانبه مشاش وهو واقع في نطاق بلاد قبيلة المقطة من عتيبة، ولا يبعد أن يكون هذا الموضع هو الذي ذكره امرؤ القيس في معلقتـه باسم توضح حيث يقول:

قفـا نبك مـن ذكرى حبيـب ومنزل
بسـقط اللوى بـين الدخول فحـومل
فتـوضح فالمـقراة لم يـعف رسمـها
لمـا نسـجتـها مـن جنـوب وشمـأل

ومما يؤيد هذا القول إن المضياح هو توضح قرب هذه المواضع من بعضها، فجبل حومـل وهضب الدخول وسقط اللوى بينهما لا تزال كلها معروفة وكلها قريبة من المضياح.

والأَنْصَر، والبعض يذكرونه بصيغة الجمع فيقولون الأناصر وهي أبارق تقع في دماث مـن الأرض تبرز فيهـا ثلاثة جبيلات صغار متفرقة، وتقـع غرباً من شهبا خنوقة، وشمالاً من بلدة البجادية الـواقعـة علـى طريـق الحجـاز غرب الدوادمي، وتـرى بالعين من الـبجادية وشمالاً شرقياً من القاعية، وفيها يقول الشاعر منيع القعود:

أمطر على ضلع الانصر وارجعه من عقب الامحال
وسَيَّل شـعيب الخنـوقه عقب مـا سيلٍ غثاه

وقد أكثر الشـعراء من ذكر الأنصر وذلك لوقوعه في بلاد الوضح المعروفة بجودة مراعـيها وسهولة أرضهـا وكثرة

أنواع الحمض في أوديتها. يقول سعد بن محمد بن يحيى:

من حد الانصر إلى حد السليسيه
من كل نوعٍ تشوف النبت في الجال
ودِّك إلى جا ربيع وعندك رعيه
تصير في جالها وتربت المال
ترعى غدير وعذير وبارد ميه
في دار امان وضمان وسايح البال

وحدث أشياخ من أهل الشعراء أن عبد العزيز العتاني من أهل الشعراء قد عثر في برقة الأنصر على بيض النعام وكان لها مداح فيه فأخذ البيض معه إلى الشعراء، وذكروا أنه مرة عثر على فراخها فيه. وذكروا أن بيض النعام كان معروفاً، وأنهم كانوا يستعملون قشرته لحفظ البارود؛ إذ كانوا يفتحون في البيض فتحة صغيرة ثم يفرغون ما فيها ويجففونها ويعملون لها صماما ويستعملونها في حفظ البارود وغيره. والشعراء الذين عاشوا في وسط نجد وصفوا النعام في شعرهم، ووصفوا بيضه وفراخه ووصفوا الدحو وما يتساقط فيه من ريش النعام. قال عبدالعزيز بن سبيل أخو الشاعر المشهور عبدالله بن سبيل:

فاطري سمحه وممشاها سماحِ
زينة المقدم ومزموم قراها
كنها ربدا من الربد المداحي
روحت للدحو والليل يحداها
(ابن جنيدل ١٣٩٨، ج١: ١٧٦-١٧٨).

وبقول سعد بن قطنان:

يا راكب اللي كن زوله إلى ذار
هيقٍ يرهّل تو ما صف بالريش
يشدي لدانوق البحر حين ما سار
أرخوا شراعه مبعدين المطاريش

وقال شاعر من آل روق من قحطان، يقال له ابن فتنان:

قِلْ له ترانا يم خشم عْقَرَاتِ
إلى اختلط نُوَّارها مع زهرها
وقطعاننا والربد متفالياتِ
في خشم كتمان تخالف جررها

أما البَرْقَات فمن أمثلتها بَرْقَةُ وَرْشَة الواقعة إلى الشرق من عروق سبيع. والأمثلة عديدة جداً وهي تزداد بطبيعة الحال في المواقع القريبة من التجمعات الرملية.

ويرادف الأبرق لفظ الأرخم وجمعه الأراخم-ويدل على القارة السوداء التي في رأسها أو رقبتها بياض.

حافة طُوَيْق. هي العمود الفقري لليمامة وأبرز ظاهرة تشكل أرضية في نطاق إقليم الحافات وتتكون من الحجر الجيري الجوراسي، ويسمى اليمامة

وطويق والعارض. قال عمرو بن كلثوم:

فاعرضت اليمامة واشمخرت
كأسياف بأيدي مصلتينا

وقال راكان بن حثلين:

وخشوم طويقٍ فوقنا كن وصفها
صقيل السيوف اللي تجدد جرودها

وهي الحافة الوحيدة التي تحتفظ باسم واحد رغم امتدادها الكبير لمسافة ٩٨٥كم ابتداء من دائرة العرض ٣٠َ ٢٦ْ شمالاً إلى الشمال من الزلفي بحوالي ٢٠كم. وتقسم جبال طُوَيْق إلى قسمين شمالي وجنوبي.

يتجه القسم الشمالي من الشمال الغربي ناحية الجنوب الشرقي لمسافة ٢٧٠كم؛ أي من خط البداية السابق إلى وادي نِسَاح عند دائرة العرض ٢٠َ ٢٤ْ شمالاً. وخلال هذه المسافة الكبيرة تبرز بعض النتوءات من مقدمة الحافة نتيجة للتعرية المائية وللتراجع المستمر للحافة، وتسمى خشوماً، مثل خشم أم الذَّر شرق الزلفي مباشرة، وخشم العرنية في الغاط الذي يقول عنه حميدان الشويعر:

من قابل خشم العرنيه
فالخاطر منقول خطره

بداية سلسلة جبال طويق من الشمال

وخشم الفُرُوثِي شمال قرية الفُرُوثِي التي يقع إلى جنوبها أيضاً خشم فُرَيْثَان. ومن فوقهما يجري نحو الشرق شعبان وأودية عديدة، منها شعيب الغاط الذي يسيل الغـاط، ووادي مرخ الذي يسيل روضة السبـلة، ووادي المِشْقَر وشعيب النُّزَيَّـة اللذان يجـريان نحو المَـجْمَعَة، وشعيب جُوَيّ والحَائر اللذان يسيلان نحو الحَائر وجُـوَيّ، وخشم أبا الهَـيَّال أمام القَـصَب، وخـشم الـتُّرَاب، وخـشم الحَيْسِيَّة، وخشم الحصان، وهو أبرز أنوف طويق وأكثرها شهرةً وأوسعها ذكراً يشاهد من بعد كأنه حصان صافن مقلد عنانه.

قال علي العويدي:

واحظ ابو مـن شاف هاك المشـاريف
شاف المـعيقـل هو وخشـم الحصان

ويقع خشم الحصان قبالة بلدة رغبة (ابن خميس ١٤٠٠، ج١: ٣٢٥).

كما تنحدر من مقدمة الحافة الجبلية مئات من الشعاب القصيرة التي تسهم في تـقطـيع الحافـة وتراجـعهـا إلى الخلـف. وأمام القَصَـب تقع فَـرِيْدَة الحُرَيِّق، والفـريدة هي جزء منفـصل من الجبـل الكبير غـير ملتصـقة به. وفَرِيْدَة الحُرَيِّق أصبحت مـعلماً لأهل القَصَب والحُرَيِّق وما جاورهـما. قال

خشم العرنية قرب الغاط

جُدَيْع العَـنَزِي حين مسه الشوق إلى بلاده نَجْد:

أمس الضَّحى عَدَّيت في نايف الجالِ
والقلب يوم اشرفت رجمه عوى ذيبه
سَقْوى إلـى شِفْت الفـريده ومدهالِ
وطْوَيْق جعل السحب تسقي شخانيبه
جعـله يعـم من الـفريده إلـى الجال
ويسقـي الحُرَيِّق مع مـفاليه وشـعيبه

ويلاحظُ أنه بعد المَجْمَعَة نحو الجنوب الشرقي يبدأ تأثير الأخاديد التي حدثت في هذه الجبال، ومنها: أخدود المَجْمَعَة، وأخدود قُرَيْدَان، وأخدود البَرَّة، وأخدود ضُرُمَا. ولهذا نجد أن حافة جبال طُوَيْق قد انقسمت إلى عدد من الحافات المتقابلة يفصل بينها منخفضات كبيرة هي في الواقع مسارات الأخاديد. وكمثال على ذلك المنطقة الواقعة بين القَصَب شمالاً ودائرة العرض ٣٧َ ٢٤ْ شمالاً. فعلى طول هذه المسافة الكبيرة نجد حافتين متقابلتين من جبال طُوَيْق. وفي المنطقة ما بين رُمْحَيْن أَشَيْقِر عند دائرة العرض ٢٧َ ٢٥ْ شمالاً، وخشم القِدِّيَّة جنوب غرب مدينة الرِّيَاض التي تمر منها أخاديد ضُرُمَا وقُرَيْدَان والبَرَّة، يكون الأخدود أوسع إذ يبلغ عرضه حوالي ١٣كم في المتوسط، وتكون حافة جبال طُوَيْق الشمالية في أبرز صورها ويتعدى ارتفاعها ١٠٠٠م فوق مستوى سطح البحر حيث تصل إلى أقصى ارتفاع لها (١٠٣٠م) في الجزء المواجه لضلع قُرَيْدَان. أما الحافة المتقطعة المقابلة لها فهي أقل وضوحاً وبروزاً، وتنقسم أحياناً إلى فرائد جبلية متبعثرة وتتخذ بعض الأسماء المحلية مثل جبال الشِّعْبَة وضلع قُرَيْدَان وخشم بَدْحَاء وخشم الذِّيَابَة وخشم أم إصْبِعَة وقارة النُّخَيْل. ويسيل من صفراء جبال طُوَيْق، أو ظهر الحافة، عدد من الشعاب والأودية الكبيرة والصغيرة وسنذكر منها الرئيسية فقط. يخترق شعيب الأَرْطَاوي حافة مُجَزَّل، ويمر من عند الأَرْطَاوِيَّة لينتهي في فيضة المَجْمَع التي ينتهي إليها كذلك شعاب البُتَيْرَاء والحِثَاقِي. وقد نشأت هذه الفيضة نتيجة حبس رمال الدَّهْنَاء مياه هذه الشعاب ومنعها من الاستمرار في اتباع الاتجاه العام للميل نحو الشمال الشرقي. ومن أهم الأودية التي تنحدر من صفراء جبال طُوَيْق نحو الشرق وتخترق حافة جبال العَرَمَة هي وادي العَتْك أو العَتْش ورافده وادي المِيَاه. ووادي العَتْك يبدأ حقيقةً من سُدَير فمن المنطقة ما بين المَعْشَبَة والحُرَيِّق ينحدر واديان هما وادي سُدَير ووادي وُرَاط. فمن ارتفاع ٩٢١م ينحدر وادي سدَير نحو الشمال إلى روضة سُدَير، ويمر

بحوطة سدَير في اتجاهه نحو الشرق وكذلك بالعَطَّار وعودة سدَير ثم يغير اتجاهه نحو الشمال الشرقي حيث يلتقي بوادي العَتْك. أما شعيب وُرَاط فينحدر من شمال الحُرَيِّق نحو الشرق حيث يواجه العَطَّار ثم ينحدر نحو الجنوب الشرقي، ويلتقي مع رافد له اسمه شعيب الرَّكِيَّة. وبعد عبوره روضة الرَّحَى يتجه الوادي نحو الشمال الشرقي إلى روضة المَشْرَات، وبعدها يعبر طريق الرِّيَاض سدير القصيم السريع ليلتقي بوادي العَتْك. أما وادي العَتْك فبعد أن يلتقي به رافده وادي المِيَاه يتجه نحو الشمال الشرقي ويمر بروضة نُورة، ويستمر في اتجاهه نحو الشمال حيث ينتهي بفيضة التِّنْهَاة بعد عبوره لحافة العَرَمَة. وتعد فيضة التِّنْهَاة منتهى لعدد من الأودية الرئيسية، فبالإضافة إلى وادي العَتْك ينتهي بها كذلك وادي الشَّوْكِي الذي ينحدر من صفراء العَرَمَة.

أما الجزء الجنوبي من جبال طُوَيْق فيبدأ من جنوب وادي نِسَاح عند دائرة العرض ٢٠َ ٢٤ْ شمالاً حتى جبل خَطْمَة عند دائرة العرض ٠٧َ ١٨ْ شمالاً، لمسافة ٧١٥كم تقريباً. واتجاه الجبال في هذا الجزء من الشمال الشرقي ناحية الجنوب الشرقي. ويحاذي حافة جبال طُوَيْق من جهة الغرب نفُود الدِّحِي ابتداء من فتحة وادي بِرْك عند دائرة العرض ١٠َ ٢٣ْ شمالاً حتى فتحة وادي الدَّوَاسِر. ولها مسميات محلية تبدأ من نفود الروشن المقابلة لفتحة وادي برك وتسير جنوباً ثم تنقطع لمسافة ٤ أو ٥ أكيال ثم تبدأ نفود الدحي المقابلة لوادي الهدار لتقف في سهل الجنبة في وسطها بترار توازيه تسمى فوار مطرجم نسبة للخشم المقابل لها من جبال العارض ثم تبدأ نفود الصعيراء التي تنتهي في عروق الوادي، وقد غلب اسم الدحي على المسميات المحلية لهذه الرمال فتم إثبات هذا الاسم في خرائط المملكة. وفي هذا الجزء من حافة جبال طُوَيْق يزداد ارتفاع الجبال إذ تكثر القمم التي يتعدى ارتفاعها ١٠٠٠م، وتتفوق بعض القمم على أعلى ارتفاع في حافة جبال طُوَيْق الشمالية وهو ١٠٣٠م، ومنها: فريدة الشَّظْيَة (١١٩٦م) أعلى قمم جبال طُوَيْق كلها، وخشم الزَّاقِب (١١٢٣م)، وجبل الجُحْفَة (١٠٦٨م)، وجبل بِلْعُوم (١٠٨١م)، وخشم الخَلْطَاء (١١٣١م)، وخشم مَخْرُوق (١١١٠م)، وخشم دَسْمَان (١٠٤٥م)، وفريدة زَيْدَان (١٠١٢م)، وخشم لِبْدَان (١١١٨م)، وخشم كَشَّافَة (١٠٥٣م)، وخشم مَاوَان (١١٠٤م). وكما نرى فإن خشم الخَلْطَاء هو ثاني أعلى قمة في جبال طُوَيْق كلها،

وهو يواجه خشم مَخْرُوق ويمر من بينهما وادي الأَيْسَر أحد روافد وادي الحَرِيق. ومن أبرز الخشوم في هذا الجزء من حافة جبال طُوَيْق، إضافة إلى ما ذكر، مرتبة من الشمال إلى الجنوب هي: خشم الدِّيْبِي (٩٧٢م)، وخشم الجُفَيْر (٩٦٢م)، وخشم الحَمْرَة (٩٧٨م)، وخشم بِرْك (٩٤٢م) وخشم الجُوَيْفَاء (٨٨٩م)، وخشم مُسَيِّفِيَّة (٨٦٨م)، وخشم مُنِيْفَة (٨٤٩م)، وخشم أبا العِقْبَان (٨٣٧م)، وخشم الشَّجَرِي (١٠١٩م)، وخشم مِشْلَح (٨٥٨م)، وخشم مُطَرْجِم (٨٦١م)، وخشم أَشْقَر (٨٦٠م) وخشم فَرْدة (٨٠٩م) ومن بينهما يمر وادي الدَّوَاسِر، وخشم كَمْدَة (٨٧٠م)، وخشم الشَّرْمَان (٨٦٩م)، وخشم السُّوَّاد (٩١٧م)، وخشم قرية الفَاو (٨٠٥م) ومن بينهما يمر وادي الحِنْو، وخشم أبو رَمَضَة (٨٦٨م)، وخشم غُرَاب (٨٧٦م)، وخشم أم غِيْرَان (١٠٦٢م)، وخشم الفَرَائِد (٨٩٢م)، وخشم خَطْمَة (٩٠٤م).

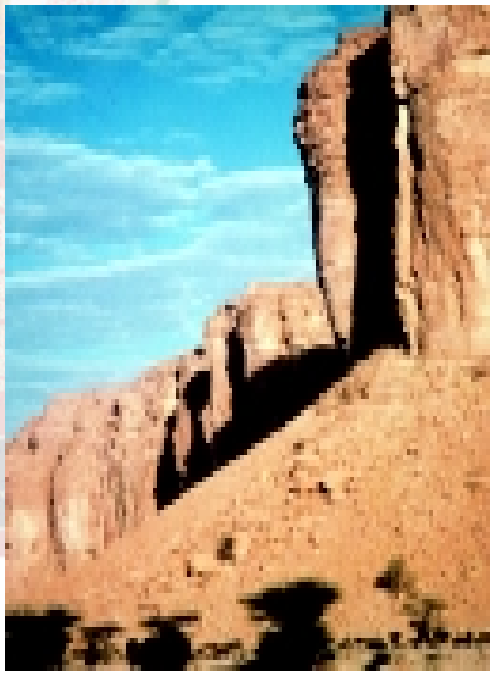

جبل طويق عند حوطة بني تميم

ويسمى ظهر جبال طُوَيْق في المنطقة بين وادي نِسَاح ووادي الحَرِيْق بالعُلَيَّة أو العَلاَة، وهي هضبة كبيرة وعرة المسالك والدروب. وهي «أكبر هضبة في جبل اليمامة (طُوَيْق)، وأمنعها، وأكثرها أودية، وأشدها ارتفاعاً؛ اتخذها لصوص المنطقة منذ العهد الجاهلي معتصماً، وعولوا عليها ملجأ، ووجدوا في مغاراتها ومخابئها مستراحاً ومعقلاً. وقد درجوا على هذا وتواطؤوا عليه حتى زمن قريب قبل أن يضرب الأمن برواقه، وتستأصل شأفة البغي على يد الملك عبدالعزيز رحمه الله؛ وحتى في زمن الملك عبدالعزيز كانت مأمن اللصوص، وهناك نماذج كانت شغل السلطات الشاغل، وما قصة الدُّوَيِّخ القَحْطَاني عنَّا ببعيدة، فلقد أعجز الأمن حتى جاء مستسلماً. وكان جَحْدَر لص اليمامة

الكبير شغل الحجَّاج الشاغل في عهد بني أمية، وكانت عُلَيَّة تجنه وتؤمنه من سطوة الحجَّاج رغم جبروته، وكأنما هذه الهضبة تسخر من جند الحجَّاج وأعوانه حينما يهمون بالبحث عن جحدر وإخوته اللصوص في أكنافها، ولما أعجزتهم القوة لجؤوا إلى الحيلة فأغروا بعض اللصوص حينما قبضوا عليهم في غير عُلَيَّة إن هم أتوا بجحدر من عُلَـيَّة لتأمنن معيشتهم مدى الحياة، فجاسوا خلالها لصوصاً والتفوا بجحدر زملاء، ولما وجدوا منه غرة قيدوه وساقوه إلى الحجَّاج» (ابن خميس ١٤٠٠: ٣٠٧-٣٠٨).

وفي شعاب جبال عُلَـيَّة ومساقط تلاعها ومنحدراتها الشاهقة قلات عميقة واسعة تستوعب كميات كبيرة من المياه وتظل تختزنها لفترات طويلة.

وقد ردمت الرمال الجزء من الجبال الواقع بين خشم الفَرَائِد، أو ثلمة سَمرة، عند دائرة العرض ٣٤َ ١٨ْ شمالاً، وساقية خَطْمَة عند دائرة العرض ٢٠َ ١٨ْ شمالاً. وتعرف هذه الرمال بعروق المُنْدَفِن، وهي جزء من رمال الرُّبْع الخَالِي الغربي. ثم يندفن العارض مرة أخرى بعد خطمه جنوباً ولا يعود للظهور بشكله المعروف مرة أخرى ولكن يظهر جزء منه مما يعرف بالأجهميين ثم جبل هويمل في وسط الرملة ثم يختفي بعد ذلك. وبعد تفحص الخريطة الجيولوجية والطبوغرافية اتضح أن عُرُوق المُنْدَفِن في الحقيقة تشغل الفتحة التي سبق أن فتحها كل من وادي نَجْرَان ووادي حُبُونَا أثناء العصور المطيرة في اتجاههما نحو الخليج العربي. علماً بأن هذين الواديين ينتهيان في العصر الحالي في الرمال التي تقع إلى غرب خشم خَطْمَة. وتعرف جبال طُوَيْق بجبال العارض أيضاً جنوب دائرة العرض ٤٥َ ١٩ْ شمالاً.

وتنحدر صفراء جبال طُوَيْق في الجزء الجنوبي منها من ارتفاع متوسطه ٩٠٠م إلى ارتفاع ٦٠٠م في المتوسط نحو الشرق، ويسيل منها عديد من الشعاب والأودية.

أما الدروب التي يمكن سلوكها من المناطق الواقعة غرب طويق إلى شرقه وهي الثنايا التي يراد بها الثلوم في الجبل، تسلكها الطرق مفترعة الجبل فقد عددها عبدالله بن خميس ذاكراً أنها خمس وأربعون ثنية تبدأ من الشمال بأم الذر التي تطل على الزلفي وتنتهي جنوباً بثلمة المندفن التي تجتاز الطريق إلى الربع الخالي. وهذه غير العقاب التي يسلكها المشاة وهي كثيرة (ابن خميس ١٤٠٠، ج١: ٢٤٥-٢٥٢).

حافة العَرَمَة وامتداداتها. تقع حافة العَرَمَة إلى الشرق من جبال طُوَيْق؛ ونظراً لاختلاف أجزاء الحافة في التميز والبروز فهي لا تحتفظ باسم واحد على طول امتداداتها وإنما تعرف بهضبة التَيْسِيَّة في الشمال، وجبل مُجَزَّل شرق منطقة سُدَير، والعَرَمَة، والجُبَيْل، وهيت شمال شرق وشرق الرِّيَاض. وهي من الصخور الجيرية التابعة للعصر الكريتاسي الأعلى. وإلى جنوب دائرة العرض ٢٤° ٠٠ْ شمالاً إلى الشرق من الخَرْج تمتد حافات صخرية أخرى تابعة لهضبة البَيَاض ذات الأحجار الرملية التي تعود للعصر الكريتاسي الأدنى، وهضبة هُرَيِّسَان التي تتكون صخورها من الأحجار الجيرية في الشمال التابعة لتكوين أم رَضَمَة من عصري الباليوسين والأيوسين الأدنى.

وتمتد هضبة التَيْسِيَّة بين صحراء الدَّهْنَاء من الشمال، ونفود المَظْهُور من الجنوب. ومن الغرب يحدها النُّفُود الكبير عند خط الطول ٤٢° ٣٠ْ شرقاً، ويحدها من الشرق عُرُوق السَّيَّاريَّات التي تربط بين الدَّهْنَاء وعرق المَظْهُور. وتشغل المنطقة شرق مجرى وادي الرُّمَّة القديم. وهضبة التَيْسِيَّة هضبة منخفضة التضاريس، فأعلى نقطة فيها هي منطقة جبَلَة (٧٦٥م) وطعوس الحَنَّاتِين (٧٥٩م) إلى الشرق من النُّفُود الكبير، وهي تنحدر عموماً نحو الشمال الشرقي ويقل ارتفاعها كلما اتجهنا نحو الجنوب الشرقي. فعند قرية

حافة العرمة قرب الرياض

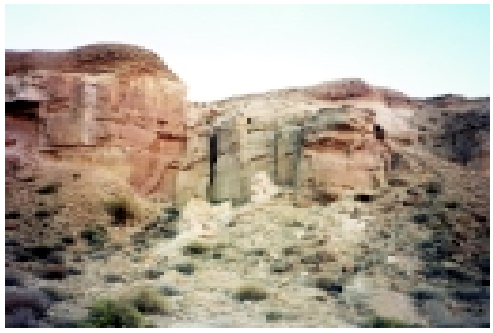

حافة العرمة

قِبَة يتراوح الارتفاع بين ٥٠٠م و٥٥٠م. وقد قطعت هذه الهضبة الأودية والشعاب التي تنحدر بشكل عام نحو الشمال الشرقي، ومنها: شعيب قَبْعة، وشعيب الأَرْطَاوِيّة رافد وادي خَتَال، ووادي الحِسْكِي بروافده شعيب الأَرْطَاوِي وشعيب الأَقْرَع وشعيب الشُّوَيْكِي، وشعيب الفُوَيْلق، ووادي الأَجْرِدي.

أما حافة جبل مُجَزَّل فهي تمتد من الشمال الشرقي نحو الجنوب الشرقي بحافة واضحة تطل على سُدَير من الشرق. وهي تبدأ من دائرة العرض ٢٧ْ ٠٠َ شمالاً وخط الطول ٤٤ْ ٥٥َ شرقاً شمال قرية جِرَاب بنحو ١٠كم، وتنتهي عند قارة خَزَّة، إلى الجنوب من تُمَيْر بحوالي ثمانية أكيال، التي يقول فيها الشاعر عثمان التويجري:

هني من شاف خزّه ضلعها زامي
يلوح وسط السراب وتقنب ذيابه

وينحدر من حافة جبل مُجَزَّل عديد من الشعاب نحو الشمال الشرقي. ونجد أن معظمها تنتهي في منخفضات محلية أو عند رمال الدَّهْنَاء وتكون فياضاً، منها: فيضة الرّحَبة التي ينتهي إليها شعيب جِرَاب، وفيضة أم الذِّيَابة التي ينتهي إليها شعيبا الوُعَالِي والسُّحَيْمي، وفيضة الحَيْراء التي ينتهي إليها شعيب العَصَل. ومن الفياض الداخلية: فيضة أم عِشَر، وروضة أم سِدْر، وفيضة الكَسْر وروضة النَّظِيْم، وفيضة الخُفَيْسَات بشعيبيها سَدْحَة ودَابَان، وفيضة غَزْوَى، وروضة نُوْرَة التي يمر بها وادي العَتْك وغيرها.

ومن القَاعيَّة، على بعد خمسة وعشرين كيلاً جنوب شرق الأَرْطَاوِيّة، تبدأ حافة العَرَمَة في الظهور إلى الشرق من حافة جبل مُجَزَّل، وهي غير بارزة في هذه المنطقة اخترقتها أعداد كبيرة من الشعاب كما أسلفنا. ولكنها تبدأ في الظهور حافة مرتفعة عما حولها جنوب شرق قرية الشِّعْب عند دائرة العرض ٢٥ْ ٥٥َ شمالاً وخط الطول ٤٥ْ ٥٤َ شرقاً. ولذلك تبدأ الظواهر التشكلية للحافات في الظهور كالخشوم مثلاً، فنجد جبل العِرْقُوبَة (٦٨٩م)، وخشم الحِقَّاقَة (٦٥٧م) إلى الغرب من واد العَتْك. وإلى الجنوب الشرقي من رُوَيْغِب يقع خشم نُفَيْخ (٦٢٠م)، الذي ينحدر

منه شعيب نُفَيْخ الذي يرفد شعيب الطَّيْرِي وينتهي عند حفر العتش، وخشم الطَّوْقِي (٧١٧م)، الذي ينحدر من ورائه وادي الطَّوْقِي ورافداه شعيب العَمْيَاء وشعيب حُمَيِّم، الذي يمر من قرية الرُّمْحِية وقرية رُمَاح على حدود الدَّهْنَاء ثم يدخل منطقة الرمال وينتهي في خِبَّة المُزَيْرِع وصيَاهِد رُمَاح. وفي منطقة الثُّمامَة هناك خشوم الثُّمامَة (٨٠٥م) العالية عن سهل البُطَيْن تحتها، مما أدى إلى تراكم كميات كبيرة من الرمال تتمثل في عرق الرِّثْمَة وعرق بَنْبَان التي يحدها طريق الرِّيَاض-الثُّمامَة-المَجْمَعَة من الشمال الشرقي والشمال الغربي. ومن خشوم الثُّمامَة تنحدر نحو الشمال الشرقي عدد كبير من الشعاب تنتهي جميعها في فيضة خُرَيْم على حدود الدَّهْنَاء، منها: وادي الثُّمامَة بروافده (وادي جُرَيْذِي ووادي المسَاجِدِي ووادي السِّعيرَة)، ووادي خُوَيْش الرَّيَّان ورافده (خُوَيْش العَطْشَان)، ووادي وُثَيْلان.

ومن جبل بُرْمَة (٧١٥م) نحو الجنوب الشرقي يبدأ ظهور حافة جديدة موازية لحافة جبال العَرَمَة من الجنوب الغربي تمتد بنفس الاتجاه من الشمال الغربي نحو الجنوب الشرقي وهي حافة جبال الجُبَيْل، ومنها جبال هِيْت التي يقع فيها دحل هِيْت المشهور عند دائرة العرض ٢٩ َ ٢٤ ْ شمالاً وخط الطول ٠٠ َ ٤٧ ْ شرقاً. وتمتد حافة جبال الجُبَيْل حتى جبال مُغْرَة (٤٨٢م) عند خط الطول ٣٠ َ ٤٧ ْ شرقاً. ويبرز من هذه الحافة عدد من الخشوم منها خشم العَان (٧١٢م)، وخشم مَزَالِيْج وخشم ثَنَايا بِلال وبينهما يقع دحل هِيْت. وقد تقطعت المنطقة التي تقع بين جبال الجُبَيْل والعَرَمَة وتحولت إلى منطقة وعرة خاصة في منطقة جبال الدُّغُم، ويقل ارتفاع هذه المنطقة كلما اتجهنا نحو الجنوب الشرقي، وتتحول إلى سهل منبسط في منطقة الخَرْج.

أما حافة العَرَمَة فيتصل ظهورها في اتجاه دائم نحو الجنوب الشرقي حتى تختفي عند رمال الدَّهْنَاء عند خط الطول ٠٥ َ ٤٨ ْ شرقاً عند ضلعان مُطَيْرِيْحَة شمال قرية التَّوْضِيْحِيَّة. وينحدر من جبال العَرَمَة نحو الشمال الشرقي عدد من الأودية التي تنتهي في رمال الدَّهْنَاء، من أهمها: وادي الجَافِي، ووادي الحَلاَل الشمالي، ووادي الحَلاَل الجنوبي. ومن أهم خشومها، بعد خشوم الثُّمامَة جنوباً، خشم البُوْيْب وخشوم البُوْيْبِيَّات وبينهما تقع جبال بُوَيْب. ويواجه جبال الدُّغُم من الشرق خشوم الحَلاَل التي ينحدر من ورائها واديا الحَلاَل السابق ذكرهما. وإلى الشرق من خط الطول ٣٠ َ ٤٧ ْ شرقاً هناك مجموعة من الخشوم، منها:

خشم عَوْصَا، وخشم خَشَبِي، وخشم سُدَيْرة، وخشم وَسِيع وذلك إلى الشمال الشرقي من الخَرْج بحوالي ٤٢كم.

حافة البياض وهُرَيِّسَان. تبدأ إلى الجنوب من وادي السَّهْبَاء، وتمتد امتداداً شاسعاً موازية لجبال طُوَيْق نحو الجنوب الشرقي حتى نهايتها في رمال الرُّبْع الخَالِي عند وادي الغَرّ عند دائرة العرض ١٧َ ٢٠ْ شمالاً لمسافة تعادل ٤٨٢كم تقريباً. وخلال هذه المسافة الطويلة تنحدر نحو الجنوب الشرقي عشرات الشعاب والأودية. وتتسم هضبة البَيَاض ببساطة المظهر التضاريسي، فهي منخفضة بشكل عام فمتوسط الارتفاع هو ٥٢٠م. وفي شمال البَيَاض هناك منطقة تسمى صلعة البَيَاض تمتد بين دائرتي العرض ٢٤َ ٠٧ْ شمالاً و٢٣َ ٢٥ْ شمالاً. وفي هذه المنطقة لا توجد سوى بعض التلال البسيطة التي لا تكاد تقطع المظهر الرتيب للانبساط العام الذي يغطي سطحها جراول المرو الأبيض، ولهذا سميت بصلعة البَيَاض تشبيهاً لها بالرأس الأصلع الذي يلمع نتيجة فقد شعر الرأس. كما تسمى منطقة البَيَاض إلى الشمال من دائرة عرض الأفْلاَج المِيْرَكَة ولكن الاسم الشائع هو البَيَاض.

«وفي البياض عدة أودية تسيل من أعلاه مما يقال له الريش مما يلي طريق الأفلاج المعبد من الرياض تسيل مشرقة ويعترضها في أسفل البياض حزن يشبه الحرة يستطيل من الشمال إلى الجنوب، وينتظم أسفل البياض كله ويحيط بالحرش والحرشة. فبعض هذه الأودية يفترع هذا الحزن ويذهب ليستقر في مرابخ الدهناء، وبعضها يقف تحت هذا الحزن غرباً مما يلي ما يسمى الحقاوة وهي حزون منقادة متعاقبة من الشمال إلى الجنوب تلقب بالحرش» (ابن خميس ١٤٠٠، ج١: ١٩٠-١٩١).

أما الجزء الشمالي من هضبة البَيَاض فيغلب عليه اسم هُرَيِّسَان التي تمتد بين وادي السَّهْبَاء من جهة الشمال ودائرة العرض ٢٥َ ٢٢ْ شمالاً لمسافة تعادل ٢١٠كم تقريباً. أما حدود هضبة هُرَيِّسَان الشرقية فهي صحراء الدَّهْنَاء التي تحاذي هُرَيِّسَان، وتنتهي إليها معظم الشعاب والأودية التي تنحدر من البَيَاض وتعبر هُرَيِّسَان. وتتصف هضبة هُرَيِّسَان بكثرة الشعاب التي تقطعها بما تسبب في وعورة سطحها. ولهذا فالطرق الصحراوية الشمالية والجنوبية التي تعبرها إما أن تحاذي الدَّهْنَاء وتسير من هناك شمالاً أو جنوباً حيث تكثر الفياض عند نهايات الأودية، أو تسير عبر منطقة الحدود بين البَيَاض وهُرَيِّسَان. أما الطرق الشرقية-الغربية فغير ممكنة إلا عبر مجاري الأودية. ومن أشهر الأودية في البياض: الْحَوَار

جبل أبان الأحمر

وحليوه والغـيثاني والدعيب والعـجرمي وجدعان وشقران والجدول وغيرها.

كما تكثر في هذه المنطقة المشاش نتيجة انبساط سطحها الذي لا يساعد على جريان الماء ولوجود الطين فلا يتسرب إلى باطن الأرض، ومنها مشاش أم جَفْر وأبو شوك والغيثاني والرديفة والثماني وخشم جلال. وبها من الأعلام هجلة سرابة هجلة عظيمة يصب بها وادي العجرمي وهجلة تخاديد وجبل بُرْمَة والنهيدين.

نماذج من الجبال

أبان: هكذا يـنطقه البدو، وبعـض الحضر ينطقونه بكسر الهمزة. جبل من أشهر جبـال منطقة القصيـم في القديم والحديث، وهما جبلان: أحدهما أبان الأسمر وكان يسمى قديماً أبان الأسود، شمال وادي الرمة، والثاني أبان الأحمر وكان يسمى قديماً الأبيـض وهو جنوب مجرى الوادي.

ويقعان إلى الغرب من مدينة الرس على بـعد حوالي ٥٠ كيلاً مـنها على تفاوت بينهما في ذلك.

ويمر الخط الإسفلتي الذي ينطلق من بريدة إلى المدينة المنورة بالقرب من أبان الأسود إلى الشمال من بعد أن يكون قد قطع مسافة ١٦٧ كيلاً.

أما من ينطلق من مدينة عـنيزة فإنه بعد أن يمـر بالبدايـع والرس يسيـر مع الطريق الإسفلتي حتى يكون أبان الأسود عن يساره جـهة القبلة حيث يمـر ببلدة النبهانية التي تقع شرقاً من أبان.

وفي جبل أبان في الوقت الحاضر عدة هجر، وأماكن زراعية كثيرة، ونخيل تستغني بقرب الماء في أرضها عن السقي، وهي من أجود النخل وأقواها في منطقة أعالي القصيم.

وقد ذُكر أبان كثيراً في أشعار الجاهلية وصدر الإسلام. قال زهير بن أبي سُلْمَى:

تبيَّنْ خليلي هل ترى من ظَعَائن
بِمُنْعَرَجِ الوادي فويق أبان
مشَيْنَ وأرْخَيْنَ الذُّيُولَ، ورُقِّعَتْ
أَزِمَّةُ عِيس فوقها ومَثَاني

ويريد بالوادي: وادي الرمة الذي يأتي من فوق أبان ويمر بين أبانين.

وقال امرؤ القيس في معلقته:

كَأَنَّ أبانا في أَفانين وبله
كبير أُناس في بجاد مُزَمَّل

وقال عبيد الله بن قيس الرقيات:

زودتْنا رقية الأحزانا
يوم جازت حمولها سكرانا
إن تَقُلْ هُنَّ من بني عبدشمس
فعسى ذاك أن يكون وكانا
أنا من أجلكم هجرت بني زيد
ومن أجلكم أُحِبُّ أبانا

وقال الشاعر العامي عبدالله بن سبيل الباهلي من قصيدة غزلية:

يوم الركايب عَقَّبَنْ خشم أباناتْ
ذكرت مَلْهُوف الحشا من عَنَايَه
ليته رديفٍ لي علي الهِجِن هَيْهاتْ
امَّا معي، والأَّرديف خْوَيَايَهْ

وقُرِن ذكر أبان بذكر جبال عظيمة مشهورة وهي: رضوى ويذبل وثبير، لجامع العظم والشهرة بينها، وليس لقرب المكان، كما في هذين البيتين:

وعليه السلام ما قام رَضْوى
وأبان ويَذْبُلٌ وثبير
مَحْتد طاهر، ومجد أثيل
وفخار غمر وخلق أثير

واستمر ذكر أبان مضرباً للمثل بعد ذلك بقرون، حتى ذكره ابن مقرب الأحسائي في أول القرن السابع في قوله من قصيدة له:

ويوْمَ علا بجَرْعاء المُصَلَّى
عَجاجٌ غَاب فيه المَسْجِدَانِ
أَلَمْ يَلْق الرَّدى منه بقلبٍ
على الأَهوال أَثْبَتَ مِنْ أَبان

وشارك الشعر العامي في ضرب المثل بأبان في الكبر والضخامة كما في قصيدة لعبيد الحمود وجاء فيه أبانات يعني أبانين:

لا والله اللي دَوْبَحَنَّ الليالي
واقْفَنْ بشيمات العرب والمروَّاه
أَقْفَنْ ولاخَلَّنْ للاجواد تالي
إلاَّ ذْنَانَةْ واحدٍ وين ابلقاه

الـعود عْـنـد الـناس مـا لـه جَلاَل
والعـفنْ صارت كُـبْر أَبـانات علْـباه

وسئلت امرأة من العرب القدماء أن تعد عشرة أجبال متواليات لا تتعتع فيها. فقالت: أبان، وأبان، وقطن، والظهران، وسبعة الأكوام، وطمـية ذات الأعلام، وعليمتا رَمَّان.

ويشبه قول هذه الأعرابية قول أعرابية محدثة وقد طلب منها أن تذكر أسماء اثني عشر جبلاً لا يبعد بعضها عن بعض كثيراً بدون أن تحتاج إلى كثير تـفكير بشرط أن يكون كلامها مسجوعاً فقالت: أبان، وأبان، والمقوقي، وعمودان، وكبشات الثمان.

وأبان وما حوله من المراتـع والمرابع بلد مريء طيب الـهواء، عذب التربة. يتغنى به أهلـه ومن حل به، ويذكرونه إذا ارتحلوا عنه ولو كانوا قد ارتحلوا إلى مكان أكثر خصباً، وأوفر مرعى، فمكانة أبان في نفوسهم لا تعادلها مكانة، وهواه من قلوبهم لا يمحوه هوى آخر.

نقلت العامـة عن أحد شيوخ عنزة من آل هذال، وكانت تلك القبيـلة تحل أبان وما حوله من عالية القصيم، فهجرت هذه البلاد تحت ضغط الحروب والمعارك، التي نشـبت بينها وبين القـبائل العربية الأخرى وقصدت العراق. ولما سئل أحد شيوخهـا من آل هذَّال عما إذا كان قـد نسي أبان بـعد أن وجد البلاد الخضراء الخصبة أجاب: والله إنني ما أنسى -ما حييتُ- وقـدة رمث بأبان، وذلك لأن الرمث من شجر الحمض، رائحة دخانه طيبة، وهو لا ينبت إلا في أرض مَرِيئة، قال بعض العلماء القدماء: الرمث وقود وحطب حار، ودخانه ينفع من الزكام. وقول ابن هـذال هذا في الرمث شـبيه بقول أعرابي قديم:

قال الأطباء: ما يـشفيك؟ قلت لهم
دخان رمـث من التـسرير يـشفـيني

وقال مشعـان بن هذال من قصيدة طنانة له بالعامية تسمى الشيخه:

لابـد مـا حِـنَّـا لابـانـات زُوَّار
بـظعـايـن تسـبق ركـاب المـعايـير

وحدث أبو العباس المبرد قال: كان بعض الأعراب يقطع الطريق فأخذه والي اليمامة فـي عمله، فحبسه، فحنَّ إلـى وطنه فقال:

أقـول لـبوَّابـيَّ والـسـجنُ مـغـلـقٌ
وقـد لاح بـرق مـا الـذي تـريـان؟

فـقالا نـرى برقـا يلـوح ومـا الذي
يـشـوقـك مِنْ بـرق يـلـوح يمـان؟

فقلـت افتحا لـي الباب أنظـر ساعةً
لـعـلـي أرى الـبرق الـذي تـريـان

فـقـالا أُمِـرْنَا بـالـوثـاق ومـا لـنـا
بمـعصـيـة الـسلـطـان فـيك يـدان

فـلا تحسـبا سـجن الـيمـامة دائـما
كـمـا لـم يَدُمْ عـيـش لـنـا بـأبان

ومما يروى من الحكايات التي تدل على عظـمة أبان ومنعته، أنَّ إبـراهيم باشا لما احتل الدرعيـة أخذ يقبض هو وأعوانه على كبار رجالات نجد، ولـم ينج منه إلا من اختفى. وقد بلغ ذلك الشيخ قرناس بن عبد الرحمن قـاضي مدينة الرس وشيخها، وكان أحد زعماء الرس الذين قاوموا إبراهيم باشا وأخروا زحفه على الدرعية لمدة أربعة شهـور. فأخذ الـشيخ يتخـوف من أن يعتقـله إبراهيم باشا ويؤذيه ولكنه لم يدر ماذا يفعل، وبينما كان يصلي بالناس صلاة الفجر قرأ مصادفة الآية الكريمة ﴿يقول الإنسان يومئذ أين المفر﴾ (القيامة: ١٠) وخطر بباله ما عليه الحال فأخذ يكررها فإذا بأحد الداخـلين يسمع ذلك فقال قبل أن يـدخل في صلاتـه: إلى أبان الحـمر! أي المـفر إلـى أبان الأحـمر (الأبيض قديماً).

قالوا: فلما فرغ من صلاته استعـاد من الرجل كلمته فأعادها على مسمعه، فالتجأ إلى مكان حصين ولم يخرج منه حتى رحل إبراهيم باشا عن نجد، ويقال إن المكان الذي التجأ إليه هو النمرية في أبـان الأسـود (الـعـبـودي ١٣٩٩، ج١: ٢٢١-٢٣٧).

أجأ: اسـم علـم مرتجـل لرجل، ويجوز أن يكون منقولاً ومعناه الفرار، أجـأ الرجـل إذا فر (الجـاسر ١٣٩٧، ج١: ٤٧).

جبل أجا

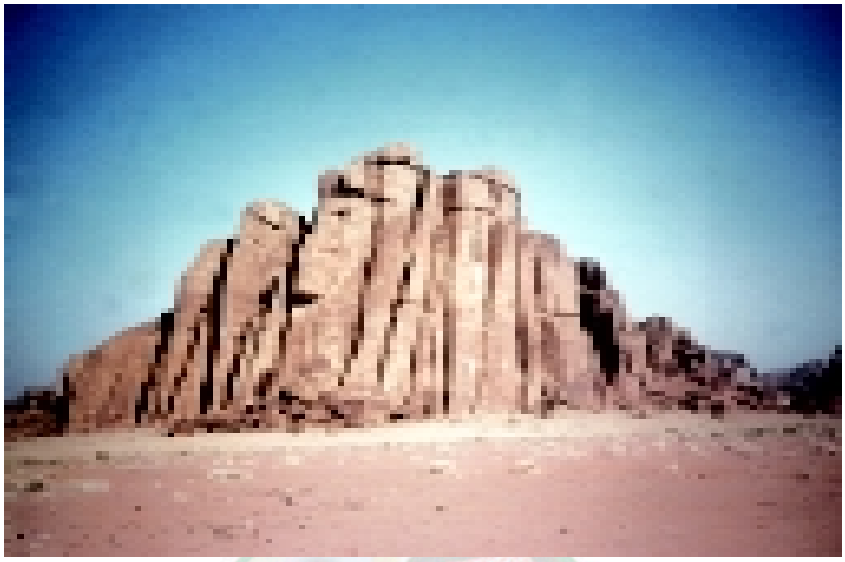

جبل عُوَارض، مقابل وادي توارن

وأورد المتقدمون خبراً في سبب إطلاق اسم أجأ على هذا الجبل وأسماء أخرى على مواضع بقربه. قيل إن سلمى بنت حام بن حي من عمليق علقها أجأ بن عبدالحي من بني عمليق وكان الرسول بينهما حاضنة يقال لها العوجا، فهرب بها وبحاضنتها إلى موضع جبل طيء، وبالجبلين قوم من عاد. وكان لسلمى إخوة يقال لهم: الغميم والمضل وفدك وفائد والحدثان، فخرجوا في طلبهما فلحقوهما بموضع الجبل. فأخذوا سلمى وانتزعوا عينيها فوضعوها على الجبل وكتّف أجأ فوضع على الجبل الآخر، وكان أجأ أول من كتّف، وقطعت يدا العوجا ورجلاها فوضعت على جبل آخر. فكان كل من مر من العرب يعجب من ذلك. فقالت العرب في أشعارها سلمى، فهي أول من سمي من العرب سلمى. فقال إخوتها: والله لا نرجع إلى قومنا أبدا. فمضى الغميم إلى ناحية الحجاز فنزلها؛ وأقبل المضل إلى موضع القاع واستنبط به بئراً وأقام به حتى مات؛ ولحق فدك بموضع فدك فسمي به؛ ولحق

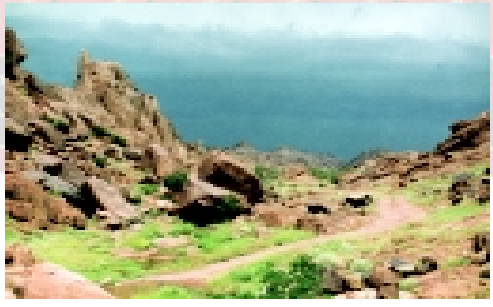

ربع السّلف في جبل أجا

فائد بالجبل الذي سمي فائد بطريق مكة؛ ولحق الحدثان بموضع حرة الحدثان فسميت هذه المواضع بهم (الجاسر ١٣٩٧، ج١ : ٥٠).

والمتقدمون يقولون: جبل أجأ أحد جبلي طيء وليس جبلاً واحداً، وهو من أشهر جبال نجد، سلسلة جبال تمتد من الجنوب الغربي نحو الشمال الشرقي بما يقارب مائة كيل في عرض بين ٢٥ و٣٥ كيلا وتتخللها شعاب كثيرة، وفي داخلها بعض القرى الصغيرة والنخيل والعيون. ومن شعاب أجأ المعروفة قديماً: توارن وحقل والأرخ وشُوط وبلطة وحضن ورميض وثرمدا.

وهواء أجأ من أطيب الأهوية، وارتفاع أعلى قمة فيه ١٣٥٠م عن سطح البحر. ويخترق سلسلة أجأ طريقان للسيارات: ريع السلف وطلعة صيحان، وطرق للدواب إلى الأودية التي بداخلها (الجاسر ١٣٩٧، ج١ : ٤٧).

ثهلان: جبل ضخم يقع إلى الغرب من مدينة الدوادمي على بعد حوالي خمسة وأربعين كيلاً، يمتد جنوباً وشمالاً بطول سبعين كيلاً تقريباً، أما عرضه فيتراوح بين عشرة وعشرين كيلاً يقع إلى الغرب من عرض شمام وشرقاً من دمخ والنير، إذا خرجت من الدوادمي متجهاً غرباً على طريق السيارات المسفلت وحاذيت هضاب البيضتين رأيته أمامك في الغرب الجنوبي، وعلى اليمين منه جبل شطب. وتقع بلدة الشعراء إلى الشرق منه يظلها بظله عصراً لارتفاعه. ويشتمل ثهلان على شعاب ومياه وأوشال كثيرة لكل منها اسم يعرف به. ولقد ورد اسم ثهلان في أشعار القدماء والمحدثين. قال الفرزدق:

إن الذي سمك السماء بنى لنا
بيتاً دعائمه أعز وأطول
بيتاً زرارة محتبٍ بفنائه
ومجاشع وأبو الفوارس نهشل
فادفع بكفك إن أردت بناءنا
ثهلان ذا الهضبات هل يتحلحل

وقال أبو البقاء الرندي في رثاء الأندلس:

لكل شيء إذا ما تمَّ نقصانُ
فلا يغرُّ بطيبٍ العيش إنسانُ
هي الأمور كما شاهدتها دولٌ
من سرَّه زمن ساءته أزمان
دهى الجزيرة أمرٌ لا عزاء له
هوى له (أُحُدٌ)، وانهدَّ (ثهلانُ)

ويقول الشاعر سعد بن محمد بن يحيى:

هيضت ما بالضمير من الهناديب
من يوم شفت الرعن وخشوم ثهلان

(الطخيس١٤١٢ : ٣٣-٣٤).

ويدعى في هذا العهد ذهلان بإبدال الثاء ذالاً. ومن أشهر مسالكه الناصفة، ويليها جنوباً ريع أم المراويح، ثم سلع الريان، ثم سلع مواجه، وله قمم شاهقة ومناكب عالية ورعان يتصل بعضها ببعض، ومن أكبر رعانه الرعن.

قال ياقوت: الرَّعن: الأنف العظيم من الجبل تراه متقدما، ومنه قيل للجيش العظيم: أرعن (ابن جنيدل ١٣٩٩، ج٢: ٦٠٧).

والرَّعن جبل أسود شديد الارتفاع يطل على بلدة الشعراء من الناحية الغربية وهو من أكبر رعان جبل ثهلان وأعلاها. وبسبب ارتفاعه في السماء وقربه من البلدة فإن ظله يضفي عليها وقت العصر فيهيء لها جواً لطيفاً في الصيف، وفي ذلك يقول الشاعر عبدالله اللوح (لويحان):

لى واعشيري قد هاك اللحاليح
يكسر عليه العصر فَيٌ ذْهَلاَنِ
سقى دياره مرزمات المراويح
آمين ياللي ترزق المودماني

وفيه يقول الشاعر مرزوق بن صقر من أهل الشَعْراء:

حلفت ما انسى عشيري كود ينساني
كود الرعن عن مكانه ينتزح نيّه
والا القنينه يسنّد يم هكران
والا معيقل يحدّر للقويعيه

والرعن أيضاً جبل في شمال بلاد القصيم (ابن جنيدل ١٣٩٩، ج٢: ٦٠٧).

خنوقة: ومن المواقع المشهورة خَنُوْقَة جبل أشهب كبير، تعلو جانبه الغربي برقة -كثيب رمل أحمر- ويحف بجانبه الشرقي برقة بيضاء واسعةٌ تسمى أبرق خنوقة، وتسمى أيضاً برقة دفنان.

وللمتأخرين أحاديث وأخبار عن جنِّ خنوقة -الله أعلم بالصحيح منها- فيروى أن امرأتين من أهل الشعراء الذين كانوا يزرعون في روضة خنوقة ذهبتا ذات يوم إلى قرب الجبل بعد صلاة العصر لتجمعا حطباً، وعادتا بعد غروب الشمس وقد أصيبت إحداهما بجنون، فأخذت تتحدث أحاديث عرفوا أنها ليست من نوع أحاديثها التي يعرفونها، فأخذوا يقرؤون القرآن الكريم وينفثون عليها فخاطبهم الجنيّ الذي علق معها وقال: دعوني أعِشْ معها حتى أحصل على رغبتي فأتخلى عنها، فأنا لا أرغبها، وإنما رغبتي في رفيقتها التي كنت أتحين الفرص للتمكن منها، ولكني حينما طال الوقت ولم أتمكن منها علقت مع هذه أتمتع معها حتى تتاح لي فرصة في رفيقتها، وسألوه عن اسمه فأخبرهم به، وكان يملي

عليهم أخباره تحت ضغط القراءة، قالوا له: من أين أتيت مادامت لك بهما معرفة سابقة؟ فقال: أنا من جيرانكم، فقالوا: وهل يجاورنا أحد من الجنّ في هذا المكان؟ فقال نعم، تجاوركم أكبر بلدة من بلاد الجن في الأبرق، قالوا: وهل هم مسلمون؟ أم كفار، قال: بل مسلمون طيبون، قالوا: وهل لهم رئيس؟ قال: نعم، قالوا: وما اسم رئيسهم؟ قال: اسمه دفنان، وهو رئيس لثلاث مدن كبيرة من الجنّ. قالوا: أين مقره؟ قال: في برقة خنوقة، قالوا: وما هي المدن التابعة له، وأين مواقعها؟ قال: واحدة منها في أعلى وادي الجمّانية في النَّير، والثانية في أعلى وادي المسمَّى في الوشم، والعاصمة الكبرى، وفيها مقر دفنان في أبرق خنوقة، ومن ثم سُمي الأبرق أبرق دفنان، فقال القارئ: ولماذا تؤذينا وتعتدي على هذه المرأة الضعيفة وأنت من جيراننا المسلمين؟ عندئذ سكت. هبَّ القارئ، وقال أعطوني حذائي حتى أتخلص من هذا الخائن، فقال: إلى أين تذهب؟ فقال: إلى الأبرق -وكان الوقت ليلاً- لأشتكي أمرك إلى رئيسكم دفنان. فصرخ بهلع، وقال: أرجوك أرجوك، لا تذهب، ولا تخبره بأمري، وأنا تائب. وأعاهدك بالله أني لا أعود ولا أتعرض لها ولا لرفيقتها، ولا لغيرهما أبداً فهرب من حينه ولم يعد، وبرئت المرأة من حينها. والله أعلم.

وفي هذا الجبل، في جانبه الشمالي مما يلي بطن الوادي غار -في القسم الجنوبي من شهبا خنوقة- يعتقد فيه البدو فيما سبق عقائد باطلة، فيأتون إليه بمرضاهم ويضعونهم فيه، ويضعون حولهم الألبان والأطعمة والقرابين وقد زالت هذه العادات في العهد الحالي، فلم يبق لها أثر يذكر بين الناس (ابن جنيدل ١٣٩٩، ج٢: ٤٨٠-٤٨٢).

رضوى: من أشهر جبال القسم الغربي من شبه الجزيرة العربية. يطل على ينبع نخلها وبحرها، وهو ذو شعاب وأودية، وأوديته في قيقة على ساحل ينبع، وتتكون سلسلة جبال رضوى من الصخور البلورية التي ترجع إلى العصر الجيولوجي السحيق، وتبرز فوقها عدة قمم يصل ارتفاعها إلى ألفي متر ترتفع بوضع رأسي تقريباً. وتنمو على قممه نباتات طبيعية نامية منها العرعر، وتعيش على قممه مجموعة من الطيور منها الجداف المروحي والذبل والزرزور الأسود والدرسة والثمير وطيور الخرشنة الطويلة المنقار وأبلق الحداد.

جبل رُمان

ويسكن سفوح رضوى قبائل جهينة الرحل المنتشرين بين المراعي (الخطيب ١٤١٣ : ١٧-١٨).

رَمَّان: جبال لطيء محفوفة بالرمل.

قال مزرد:

وأسحم ميال القرون كأنه
أساود رمَّان السِّباط الأطاول

وقال الأصمعي: إنما خص حيات رمَّان لقربها من الريف، فإذا قربت من الريف طالت ولانت وقلَّ سمُّها. وفي رمّان قتلت طيءُ، قيسَ بن يربوع، كان قدم على أحد الملوك فقال الملك: لأضعن تاجي على أكرم العرب، فوضعه على رأس قيس وأعطاه. فلما عاد قيسٌ إلى بلده لقيته طيء برمان فقتلوه، ثم عرفوه بعد ذلك وذكروا أيادي كانت له عندهم، فندموا، ودفنوه وبنوا عليه بيتا. وفيه يقول طفيل الغنوي:

ومِن قيسٍ الشاوي برَمَّان بيته
ويوم حقيل فاد آخر معجب

وجبل رمان من أشهر جبال بلاد العرب وأكثرها ذكراً في الشعر العربي القديم. ويقع جبل رمان جنوب مدينة حائل على نحو ٩٠ كيلاً، ويمتد من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي نحو ٤٠ كيلاً، ويبلغ عرضه من قرية المستجدة جنوباً إلى قرية المعترضة شمالاً نحو ٢٠ كيلاً، وتخترقه طرق للسيارات منها ريع

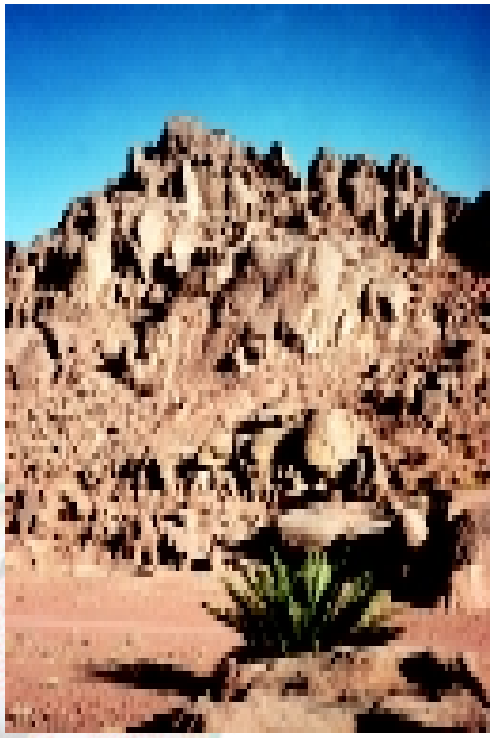

جانب من جبل سلمى – أحد جبلي طيء

البكر وريع المَنْصل وطرق للدواب، ويبلغ ارتفاع أعلى قمة فيه ١١٠٠م تقريباً عن سطح البحر. وهو غرب سلمى وجنوب جبل حضن المتصل بجبل أجأ. وبقربه عدد من القرى، ففي غربه غضور والغزالة والمهاش وسراء؛ وفي شرقه العوشزية والعقيلات؛ وفي جنوبه المستجدة (الجاسر ١٣٩٧، ج٢: ٥٩٧-٦٠٠).

سلمى: أحد جبلي طيء وهما أجا وسلمى، وهو جبل وعر به واد يقال له رك، به نخل وآبار مطوية بالصخر طيبة الماء، والنخل عصب، والأرض رمل، بحافتيه جبلان أحمران يقال لهما حميّان والغداة وبأعلاه برقة يقال لها السراء. وأعلام سلمى ما برز من قمم جبالها – وهي الأعراف– وأنشدت جارية من طيء:

لَبرقٌ على سلمى وأعلامها العُلى
أقرُّ لعينيّ وأشفى لما بيا

وتبعد سلسة جبال سلمى عن مدينة حايل بنحو ٦٠ كيلاً وعرض السلسلة نحو ١٣ كيلاً من ريع الشِّراء إلى السفح الشرقي، وارتفاع أعلى قمة فيها تبلغ نحو ١٢٠٠م عن سطح البحر. ويتخلل السلسلة طرق تجتازها السيارات، منها: شرا المسعود وشرا الضرير وريع النعي في الشمال وريع تقريب في الجنوب، وفيها مسالك أخرى للدواب توصل إلى تلاع واسعة وأودية ذات نخل. ومن نبات جبل سلمى السُّواس وهو من العضاه شبيه بالمرخ وليس له شوك ولا ورق يقتدح بزنده ويطول في السماء ويستظل تحته، وقد تأكل أطراف عيدانه الإبل والغنم (الجاسر١٣٩٧، ج٢: ٦٨١-٦٨٢).

شدا الأسفل: جبل أقل من شدا الأعلى ارتفاعاً، ويفصل بينهما وادي الحُواء وهو من روافد وادي الأحسبة. ويقع هذا الجبل جنوب شدا الأعلى غربي بلدة المخواة بعشرة أكيال تقريباً. ولا

يوجد بهذا الجبل شيء من نباتات السراة كجبل شدا الأعلى، إلا أن به الموز والخوخ والبن والكادي والرياحين والشعير والذرة (الزهراني ١٤٠١ : ١٣٢-١٣٤).

قال أبو معلي الأحول وهو سجين بمكة:

ارقت لبرقٍ دونه شدوان
يمان وأهْوَى برق كل يماني

شدا الأعلى: جبل عظيم تزرع فيه الحنطة والشعير إضافة إلى البن والموز والخوخ والرمان والتفاح والبرتقال، إلى جانب نبات أشجار العرعر والزيتون والحناء وأنواع الرياحين. ويقع جنوب بلدة قلوة بتهامة ويبعد عنها بحوالي خمسة عشر كيلاً وهو لغامد وزهران. وبأعلى هذا الجبل من جهته الشرقية قمة تسمى قمة المصلّى، وهي حجر مثلث الشكل تحمله ثلاثة أحجار كبيرة كالأثافي وهو باتجاه القبلة ويتسع لإمام ومأمومين اثنين يسمونه مصلى إبراهيم. ولا يستطيع الوقوف عليه والصلاة فوقه إلا من كان متعوداً، أما من يصل إليه لأول مرة فيكون من الصعب عليه ذلك. وقد أخبر بعض كبار السن من قرية الكبسة الغامدية الواقعة غربي هذه القمة، والتي تبعد عنها طلوعاً بثلاث ساعات، أن هذا المصلى الحجري كان يفد إليه يمنيون لا يمرون بالقرى، بل يتجهون إليه ويبقون عنده أياماً ويعودون إلى بلادهم، وهم يدعون أن إبراهيم بن الأبلج كان يصلي فيه (الزهراني ١٤٠١ : ١٣٢-١٣٣).

شُمرُخ: جبل يقع شمال شرقي وادي سبيحة بسراة زهران بحوالي أربعة أكيال ويمر طريق الطائف-الجنوب بهذا الجبل، وهو من أصعب ما يمر به المسافر من الطائف إلى الباحة (الزهراني ١٤٠١ : ١٣٨).

قطن وطمية: يقع قطَن في غرب القصيم على بعد حوالي ١٧٠ كيلاً من مدينة بريدة يراه المسافر من القصيم إلى المدينة المنورة على يمينه قبل أن يصل إلى عقلة الصقور. وهو جبل أحمر شديد الحمرة حتى إن بعض الأعراب يسمونه الجبل الجديد، لأنه يبدو للناظر أحمر كأنما خرج من معمل أو تشبيهاً له بالثوب الجديد الأحمر. وكان مشهوراً في القديم حتى قال فيه الجاحظ: إنه جبل معروف. وقال ابن اسحاق: قطن: ماء من مياه بني أسد بنجد، بعث إليه رسول الله ﷺ أبا سلمة بن عبدالأسد في سريَّة، فقتل فيه مسعود بن عروة. وهذا صحيح لأن في جبل قطن ماءً بل مياهاً كثيرة، ويطلق الاسم على الجبل والماء.

وبقطن كان يوم من أيام العرب في الجاهلية من الأيام التي نتجت عن حرب داحس والغبراء. لخص ابن عبد ربه حديث يوم قطن بقوله: وقفت بنو عبس بقطن وأقبل حصين بن ضمضم فلقى تَيْحان أحد بني مخزوم بن مالك فقتله بأبيه ضمضم، وكان عنترة بن شدّاد قتله بذي المريقب، فأشارت بنو عبس وحلفاؤهم بنو عبدالله بن غطفان، فقالوا: لا نُصَالحكم ما بَلَّ البحر صوفة، وقد غدرتم بنا غير مرة، وتناهض القوم عبس وذبيان، فالتقوا بقطن فقتل يومئذ عمرو بن الأسلع عيينةَ، ثم سفرت السفراء بينهم، وأتى خارجة بن سنان أبا تَيْحان بابنه فدفعه إليه، فقال: في هذا وفاء من ابنك! فأخذه فكان عنده أياماً، ثم حمل خارجة لأبي تَيْحان مائة بعير قادها إليه. واصطلحوا وتعاقدوا، قال أبو عبيدة: فاصطلح الحيان إلا بني ثعلبة بن سعد بن ذبيان فإنهم أبوا ذلك وقالوا: لا نرضى حتى يودوا قتلانا، أو يهدر دم من قتلهم، فخرجوا من قطن.

ونظراً إلى أن قطناً جبل أحمر جميل المنظر، جعله الأعراب المحدثون معشوقاً لهضبة طَمِيَّة الحمراء التي تُجاوره من جهة الغرب يفصل بينهما حوالي ستين كيلاً، وهي تقع فوقه مناوحة له يراهما معاً مَنْ يكون في عقلة الصقور وهما ظاهران له متناوحان (العبودي ١٩٧٩: ٢٠٧٤-٢٠٧٥). يقول الأعراب: إن طمية كانت قد تزوجت عكاش الجبل الأسود الذي يقيم بجانبها حيث أتت إليه على ما يزعم الأعراب من جنوب غرب حرة كشب حيث يوجد هناك فوهة مقلع طمية يزيد عمقها على ٢٠٠م واتساعها على ٣كم، غير أن لونه الأسود لم يعجبها فكانت ترى قَطَناً أحمر اللون، مشرق الطلعة، لا سيما إذا رأته ينعكس البرق على صفحة وجهه فهجرت زوجها عكاشاً المسكين، ونادت بقلبها قطناً فاستجاب لندائها العاطفي، وتناول الرُّحَيْل وهو جبيل صغير بقربه ووضعه على البكرة وهي إحدى هضابه، أي هضاب قطن، سميت بهذا الاسم بعد هذه الحادثة -كما يزعمون- وسار إليها فقضى كل منهما من صاحبه وطرا، إلاَّ أن الخرافة لم تذكر أن هذا الحب أثمر أولاداً، وإنما كانت ذكرت أن زواج طمية بعكاش قد أثمر ولدين صغيرين هما اللذان يسميان ديمات بالجمع بمعنى ديمين بالتثنية أو ديم بالإفراد. أما عكاش زوج طمية فإنه وهو ينظر إلى حليلته تتبادل العبارات التي يستحيا منها مع غريم له أكثر شباباً، وأنضر جلداً فإنه كاد يتقطع

مقلع طمية

من الغيظ، وقد ازداد وجهه الأسود لهذا السبب سواداً على سواد.

هذه هي الخرافة أو هذه إشارة إليها. ولها أصل قديم فيما يتعلق بطمية وعشقها عند الأعراب المتقدمين فقد ذكروا أن عكاشاً تزوجها، وكما قال شاعرهم:

تزوَّج عَكَّاشٌ طمية بعدما
تأيَّم عَكَّاش وكاد يشيب

أما جبل طِمِيَّة، بكسر الطاء فميم مكسورة أيضاً فياء مشددة مفتوحة فهاء، فهو جبل أحمر مشهور في القديم والحديث، في أعلاه حجارة صفراء، وعر الأعلى ولذلك تتربى فيه الصقور، ويقصدها الأعراب ليجلبوها منه، ويرى المرء الآن على البعد آثار ذرق الطير في أعاليه بيضاء واضحة. ويقع جبل طمية في أقصى الغرب لمنطقة القصيم، على بعد حوالي مائتين وثلاثين كيلاً من مدينة بريدة. تشاهده وأنت في عقلة الصقور، ثم يماشيك إذا كنت متجهاً إلى المدينة المنورة مع الخط الإسفلتي الذاهب إليها من القصيم لمسافة تزيد على خمسين كيلاً. ويبعد عن بلدة عقلة الصقور نفسها اثنين وثلاثين كيلاً (العبودي ١٩٧٩: ١٤٩٢). وتسمية طمية قديمة لم يتغير من النطق بها شيء

ماعدا الطاء إذ كانت ينطق بها في القديم بالفتح.

قال ياقوت: طَمِيَّة: بفتح أوله وكسر ثانيه، وياء مشددة كياء النسبة. ولكون جبل طمية يرى على البعد قالت العامة من أهل تلك البلاد في أمثالها «كل جبل تمسِّيه المطيه، إلا ساق وطميه» أي كل جبل إذا رأيته في النهار تصله وأنت راكب المطية قبل المساء ما عدا جبل ساق وجبل طمية، لارتفاع موقعهما وكونهما يريان على البعد (العبودي ١٩٧٩: ١٤٩٥-١٤٩٦).

أما الأعراب المحدثون فإنهم يروون قصة زواج عكاش بطمية ويدللون على ذلك بحفرة كبيرة قرب كشب يقولون لها مقلع طمية، وهو مكان منخفض كأنه بقايا جبل انتزع ويرددون العديد من الأشعار، منها قولهم:

الهوى من قبلنا شدّد طميّه
ضلعةٍ في كشب شدّت يم ابان

وتروى القصة كما يلي: كانت طميَّة تسكن الحرَّة قرب خيبر فلما أضاء البرق مرة رأت جبل قطن على البعد فعشقته، وجاءت إليه لتتزوج به، غير أنها رأت عكاشاً في مكانه هذا من الطريق فهويته وتزوجت به، واستبدلته بقطن: فأثمر زواجهما ولداً مثلهما وكان جبلاً صغيراً اسمه ديم يقع إلى الشمال منهما. وعَكَّاش معروف بهذا الاسم قديماً، قال ياقوت: عُكَّاش، بضم أوله، وتشديد ثانيه، وآخره شين معجمة: جبل يناوح طَمِيَّة، ومن خرافاتهم عن عكاش، زوج طمية كما نقل ياقوت عن أبي عبدالله السكوني قوله: إذا خرجت من الحاجز تقصد مكة تنظر إلى طمية وهو جبل بنجد، شرقي الطريق، وإلى عُكَّاش، وهو جبل تقول العرب إنه زوج طمية سمكها واحد، وهما يتناوحان. على أن قلب طمية -فيما يزعم الأعراب المحدثون- ليس ثابت الودَّ، فقد تحول عن حب عكاش إلى حب قطن ذلك الجبل الأحمر الجميل، فاستجاب قطن لندائها العاطفي وركب بكرته وتزوجها، وهجرت بذلك عكاشاً هذا الجبل الآدم الشديد السمرة.

النير: تبرز جبال النير على طريق الحجاز إلى الجنوب من القاعية. وتتكون هذه الجبال من صخور تكوين مردمة. وهو تكوين يتألف من صخور الشيست والأردواز، ولما كان لون الأردواز أسود فقد ظهرت هذه الجبال سوداء فاحمة اللون. وقد برزت نتيجة لصلابة صخورها ومقاومتها للتعرية إذا ما قورنت بالصخور الأقل صلابة المحيطة بها. ويقول الهجري: ومن النير تخرج سيول التسرير وسيول نضاد وذي

غثث في واد يقال له ذو بحار، حتى يأخذ بين الضلعين: ضلع بني مالك، وضلع بني شيصبان، فإذا خرج من الضِّلعين كان اسمه التسرير. وفيه يقول الشاعر الشَّعبي باني الباني أمير قرية مسكة:

تقَاضبَوْا منْ خَشِمْ كَبشَهْ إلى النِّيْر
وبُيوتُهمْ يَمَّ الحَنَابجْ تبنَّا
تجيكْ غِزْوانٍ سوَاة المِظَاهِيرْ
يَبُون زاد القَصْر والعِلْم منَّا

ويقول عسكر الغنامي الروقي من عتيبة:

تَجْهَزْ دمُوعي، يَومْ قَفَّوا ربُوعي
تَجْهَز دمُوعِي، يَا اللَّهْ اليَوْم خيْرَهْ
شَدَّوْا من الخوَّارْ، تبلِيْج الانْوارْ
حَزَّة غَناني الطار، حَزَّة مطيْرَهْ
عَنِّي تَنَصَّى النِّيْر، قود المظَاهِيْر
سَيَّرتهم تَسيْر، ولهُمْ جَرِيْرَهْ

ويقول سعد بن جريس من أهل الشعراء:

البَارحَهْ باللَّليل لَيْلي تَخَافِيقْ
جَا الصُّبْح مَا والله تَهَنَّيت بِرقَادْ
يَاعَيْن يااللِّي تَسْبِر الرِّيْع وتْوِيق
أبي عسَى سلم المناهِيْج ينْقَادْ
الله علَى ما بِمرِق الخَدِّ تمرِيْقْ
له بَين كبْشَه وايْسَر النِّير مِجْلاَدْ
مَا عَادْ أبي دَار بهَا خَاطِرْي ضَيقْ
مَا عَادْ لي فيها رِيَاضَهْ ومِقْعَادْ